أستاذنا الأديب الكبير / هاشم عبد ...

تحية اعزاز وتقدير

محمد عبد الله عيسى

١٠/٤/٢٠٠٥

رواية

عباس السابع . . .

محمد عبد الله عيسى

الغلاف بريشه الفنان/ عبد الرحمن نور الدين
الرسوم الداخلية للفنان/ مجدى محمد جاد

عنوان المؤلف
هيئة قناة السويس - الإسماعيلية

مطابع مركز التاهيل بالإسماعيلية

إهـــداء..

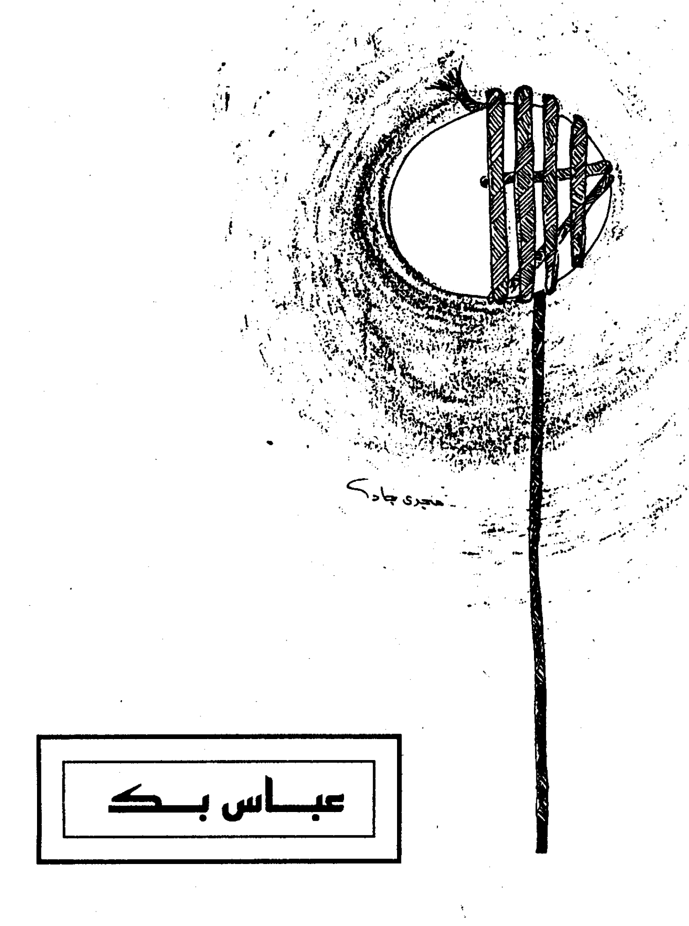
إلـــى..

(نعمة).. الملحمة التي لم تكتب بعد..

وإلـــى..

صديقي المسافر أبدا.. حتى نلتقي..

محمد عبد الله عيسى..



عباس بک

عباس بك..

- .. الأولاد فى إنتظارك
- .. جاءوا مبكرين على غير العادة..
- يريدون عمل الترتيبات اللازمة ليوم ميلادك..
- .. بل يريدون رأسى..
- دائما تسئ الظن بمن يحبك.
- لاعليك.. سوف أخرج لهم..

أعرف إنهم يرتبون لمحاكمتى.. جمعهم كبيرهم، حرضهم ضد مشروعى، ليتنى ماأطلعته عليه فى ثورة حماسى..

أطفالا مازالوا.. لايعرفون أننى سوف أبدا من جديد، من أجلهم.. لن أصحب قرشا إلى قبرى.. ليتهم يعرفون كيف تمرغت فى الأيام حتى أصل إلى هذا المركز المرموق الذى يتمرغون فيه، يرتعون، يلعبون.. لايقرءون تضاريس الوجه الذى نخرته الأيام.. لايفهمون..

نهضت من فراشى.. أغتسلت.. أرتديت ملابس الخروج.. خرجت إلى الصالة... ينتظرون.

تفرست وجوههم مليا، يخبئون فى صدورهم شيئا ما.. يريدون طعنى فى غفلة منى...

لست دكتاتورا كما كان أبى.. أننى أحلم بذلك من أجلكم، وبالرغم من ذلك لايروقكم مشروعى..

- .. صباح الخير ياأولاد.
- .. كل سنة وأنت طيب يابابا

التفوا حولى.. يغمروننى بالقبلات.. أحسست بالدفء يملأنى بالرغم من برودة هواجسى، [illegible] عاما مضت.. أه.. الحياة حلم جميل، نستيقظ منه فى نهاية الرحلة..

- هدايـــاك يـــأبــــى..

قلم ذهب... شيطان أنت يا(حامد) .. قرأت إبتسامتك الماكرة، تتوسل إلى أن أتخلى عن قلبى القديم الذى خطط المشروع.. أقربهم أنت إلى ملامحى.. تكوينى.. جنونى.. طموحى.. لذا أجد كل الصعوبة فى ترويضك، دونهم.. أرهقتنى كثيرا.. تحرضهم ضدى.. ولكنى أحبك.. سامحك الله..

مصحف مذهب... مرة أخرى، طيب أنت يا(شعبان).. ملأت مكتبتى بمصاحفك الكثيرة.. نظرات عينيك تعذبنى.. تجردنى من الأكاذيب التى تغطى ملامحى.. أقسم لك.. أننى سوف أنتهز الفرصة قريبا، وأعكف على قراءة كل ماأهديتنى أياه.. صدقنى.. أننى لاأكذب تلك المرة.. فأنا فى حاجة إلى هذا المطهر القوى يغسلنى من عفونة أيامى.. فقط لاترهف

السمع الى كلمات أخيك عن مشروعى.. أصله (ولد خايب).. لايعرف مصلحتنا.. لاتقتلنى بصراحتك المعهودة.. أحسدك.. من أين أتيت بكل تلك الجرأة، المستفزة أحيانا.. تمنيت لو كنت فى مثل قوتك.. لتصديت لأبى قبل أن يصرع أمى، ولتغيرت أشياء كثيرة.. كثيرة..

وحدك تستشف ماأخبئه فى صدرى، تولينى ظهرك.. لاتروقك أفعالى.. لاتهزك أموالى.. عنيد منذ ميلادك.. لكنى أحبك.. أنت المساحة المقدسة فى خريطة حياتى.. الصلاة خير من النوم.. سوف أفعل ياولدى.. حفظك الله..

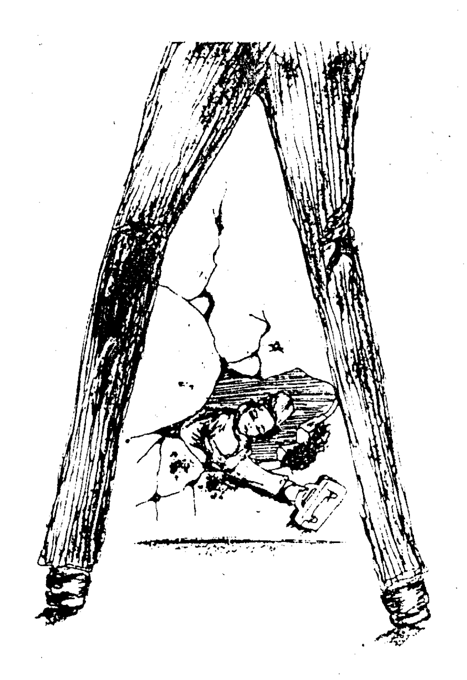
زجاجة عطر (جيفنشى) ... أشكرك يا(حنان).. رقيقة أنت.. جنت فى أيامى الصخرية.. تدغدغين حواسى الحجرية، طال أنتظارى لك.. كنت أبحث عنك، أفتش فى حلمى عن عبقك.. ينعشنى..

لاتخذلينى يا إبنتى. .سأخصك بالجانب الأكبر فى مشروعى، حتى تأمنى فى غيابى... أمك تحجبك عنى، تعرف لهفتى عليك، تعلقى بك... سهلة، طيعة، لينة فى يدها.. سكينه حادة، تلوح بها فى وجهى كلما أرادت نزالى.. لاتسمعى لهم... المشروع لك..

وردة حمراء (بلدى).. آه يارائحة الزمن.. آه يا(فاطمة).. دائما تذكريننى بلقائنا الأول، البعيد.. أقسم لك أننى لم أنس ولن أنسى أيامنا... أنت واحة الدفء والظل فى رحلتى.. فقط لاتخذلينى أمام صغارك، أعرف تعلقك بكبيرهم.. لكننى.. عباس..

نشر هذا الفصل فى جريدة الأهرام المسائى
فى ١٩٩٣/٤/٤

- لماذا آثرتم أن تكون هدايكم فى الصباح على غير العادة فى كل مرة؟
- لتقرأ رموزنا فيها.. قد تكفى مساحة الوقت حتى المساء، لتعيد التفكير فى مشروعك..
-.. مزجت ثروتى، وخبرتى لأطبخ لكم حلم أيامكم القادمة..
-.. هى ملكنا.. ومن حقنا أن نصنع حلمنا..
-.. الأولاد معهم حق.. ياعباس..
- تضحكون ياخبثاء.. أتفقتم للمرة الأولى.. على كل حال يمكنكم الآن أن تساعدوا أمكم فى تجهيز الحفل.. فقط.. أستأذنكم للخروج.. أريد أن أنفرد بنفسى.. موعدنا حول المائدة فى المساء.. نحتكم فيما بيننا...



عبــــاس الاول

١٩٢٩

◆ ولدت. كثيراً ماردد أبى، جئت فى أيام سعد.. عرفت فيما بعد إنه كان يريد أن يمسح عن رأس الصغير مانقشه الأستاذ (عبد ربه) فى رءوسنا الصغيرة، وهو يدون بيانات ميلادنا فى الفصل.. جئتم وجاء الفقر معكم يغطى كل العالم.. كنا ننظر إليه فى براءة.. ونضحك إلى نكتة الأزمة الإقتصادية..

١٩٣٥

◆ التحقت بمدرسة الخديوى.. لبست المريلة.. أولى ثالث..

- مات الملك.. عاش الملك..

لم يأخذنى أبى أبداً الى أى موكب للملك فؤاد.. كان يكرهه.. أصطحبنى معه..حملنى فوق كتفه لمشاهدة موكب الفاروق، العائد من الخارج.. تقى.. يخاف الله.. يحب مصر ويتكلم العربية..

- لكنه صغير جداً ياأبى ..
- هنيئاً لكم فى أيامكم ..

١٩٣٨

◆ أولها.. آخرها.. ربيع.. خريف.. لاتسعفنى الذاكرة. نتلقف أخبار الملكة فريدة.. (ام كلثوم) تغنى، (كاريوكا) ترقص لهم... كان الجو صحوا.. أبى عارى الا من سرواله ونحيب أمى فوق رأسى لم ينقطع طول الليل.. طلقنى.. أخرسى يا إمرأه ..

١٩٣٩

- حصل أبى على علاوة.. أنتقلنا الى شقة جديدة فى نفس الحى.. بعدها.. نجحت.. تخطيت التعليم الألزامى من رابعة أولى..

- أبى يشرح لأمى.. الاساتذة يتحاورون فى فناء المدرسة.. الناس فى الشارع يثرثرون.. وانا لاأفهم.. (هتلر)..

١ - اللقـــاء ...

همت على وجهى.. أقطع الشوارع، أطوى الأسفلت تحتى، تتسرب شحناتى السالبة، تبلعها الأرض على مضض.. للمشى متعة خاصة، أفتقدتها منذ ركنت الى المقعد الخلفى للسيارة الخاصة.. زمن بعيد مضى. لأرى فيه ناس الشارع، ولايرونى.. فى حركتهم سحر خاص، يهرسون أسباب الضعف.. يبتسمون.. يبسملون.. يمشون إلى تجاربهم، ونبض الحياة لايتوقف.. حملقت فى الوجوه التى أطالعها، لعلى اصادف وجها أعرفه، أفرغ عنده حمولة الصدر.. بكيت نفسى.. للمرة الأولى أكتشف أننى وحيد فى هذا العالم.. لاأخ.. لاأخت، أهرع إليها عند الحاجة. المستشارون.. النواب..الوكلاء.. الموظفون.. يتخبطون الآن عند أعتاب رئيس مجلس الإدارة الجديد، بعد أن ودعونى بالشعر والقبلات إلى برودة الأيام المفتوحة..

لم أكن أجرؤ على مفاتحة أبى فى شئ ما، حتى ولو كان فى صالحى.. (مشروع إيه.. أنتبه لدروسك).. (أبوك يعرف مصلحتك).. عدت أطوف فى رحلة (إيزيس) إلى تلك الأماكن البعيدة النائمة فى جوف الزمن.. أنبش فى أطرافها.. أداعبها.. تبتسم لمرآى.. ألملم أشلائى.. وحدى.. أعرف أين نبت الغرس، والحب.. مدرسة الخديوى الأولية.. السور العالى.. يخبئ خلفه كل الدفء..العطر.. والحديقة الصغيرة البريئة.. التى رويت من ضحكاتنا الصغيرة- تنام فى الفناء الواسع.. ترصع خصر الصرح القديم، القائم فى المكان، شاهداً يرصد التحولات

وأسباب التعرية.. تسمرت فى مكانى أمام تلك الفتحة فى الجدار الخلفى والتى شهدت هروبى مع (شعبان وصبرى).. لماذا لم تطلها يد الزمن بالترميم؟

ولماذا؟ .. ولماذا أنا هنا؟ كيف قادتنى قدماى؟ تطلعت حولى.. أمسح المكان، ولا احد يرصدنى.. لكنى لمحته.. يتسلل من الفتحة القديمة، يحمل كعادته حقيبتة البالية فوق ظهره، والخوف يملؤه .. جبان.. أعرفه.. صرخت فيه.. (عندك ياعباس !! تعال)

تسمر الصغير فى مكانه، تلفت فى فزع، تنبه الى مصدر الصوت، أتجه ناحيتى فى خطوات مهزومة، منكس الرأس فى ذعر لفعلته، يخفى وجهه فى كفيه، خوفاً من صفعه مفاجئة..يبكى.

- .. والنبى (حرمت) ياأستاذ.. لن أهرب أبداً..
- .. تعالـى يا (عبـاس).. لاتخـف.
- .. لن أفعلها.. (يتقدم ناحيتى فى تردد)
- لاتخـف.. تقـدم.. مـن تظننـى؟
- حضـرة المفتـش!!
- لماذا أعتقدت ذلك؟
- أعرف جميع الأساتذة بالمدرسة.. وحضرة الناظر.
- أرفـع رأسـك.. أفتح عينيك جيداً لترانـى.

وتقف الكلمات فوق الشفاه الصغيرة، يتطلع الى وجهى، يتفحصنى ملياً، أسحبه تحت الذهول الى الساحة البعيدة عن المدرسة.. يلعب هناك دائماً، أعرف إنها مقصده..

- كيف عرفت هذا المكان؟
- أعرفـه.. كما أعرفك
- تعـرفنـى؟
- نعم.. كنت أبحث عنك.. واحمد الله أننى وجدتك..
- لمـاذا؟
- أحتاجـك ...
- مـن تكـون؟
- من تظننى؟ تأملنى جيداً.
- تشبـه صـورة أبـى
- نعم .. أشبه كثيرا..
- مـن أنـت؟
- أنـا.. أنـت ياعبـاس
- ماذا تقول؟ (يصرخ فزعاً)
- لا تنزعج دعنى أشرح لك.. أنت العقد الأول فى رحلتى..

وأخذت أسرد عليه بعضاً من أفعاله الصغيرة التى يخبئها فى صدره لايعرفها سواه.:حملتها على ظهرى طوال رحلتى- حتى يتأكد من حقيقتى

....

٢ - التكـــويـــن

هذا أبريقك ياعباس.. أشترته جدتك يوم ميلادك.. زينته بالورد والتل والشرائط الحريرية الملونة، والشمعة الكبيرة داخله تضئ ليلنا.. والحبات السبع فى فتحتيه تنبت فى يومك السابع.. فابشر بالحياة والرزق ياولدى..

....

....

الختان الجماعى ..عمرك أربع سنوات، أقام لك أبوك حفلا كبيراً.. ثلاث ليالى، لإعلان، رجولتك على الملأ.. أنتهزنا الفرصة، أخذنا (شعبان) و(صبرى) معك، فقد كان أبواهما عاطلين.. لم تصرخ مثلهما..

(ذراعا أبى .. طوقت أرجلى.. حبست كل الألم فى صدرى ياأمى).

....

(مات أبو شعبان).. بكى كل الناس فى الحى.. كان طيباً، مريضا.. (أرتاح .. رحمه الله).. ذهبت مع (شعبان) و (صبرى) نلعب فى الخرابة.

بعد مسافة من الحزن قصيرة، ماتت جدتى لأمى.. كنت أحبها كثيرا، تضمنى الى صدرها الواهن ..تدس فى يدى مليما نحاسيا أحمر.. (هات لك قمع سكر..و..).. بكى الجميع.. أبى، أمى، الجيران، وبكيت معهم.. أصبحت بلا جدة... وضاع طعم السكر فى فمى ..

الأمهات يتبادلن إنتظارنا عند الخروج من المدرسة، بعد أن يأتين بحاجتهن من الخضروات والمشتروات من السوق- باب عمر باشا- القريبة من المدرسة.. يفرحن لخروجنا، كى نشيل عنهن مايحملنه.. وابورجاز.. لمبة نمرة خمسة.. حصيرة..

ضقنا بتلك الخديعة بعد أن كنا نفرح لمقدمهن.. نريد أن نلعب ونحن فى طريقنا إلى البيت..لقد كبرنا.. حفظنا السكة.. لاتأتين..

....

....

يلفنا الدفء عندما تجمعنا خالتى (عزيزة) أم شعبان- على كتفها دائماً أبنتها الصغيرة (فاطمة) التى جاءت فى رحيل الأب- تملأ حجرتها بالصغار الذين تثق بهم.. لايسرقون.. لايأكلون (الملبس) الذى يعبئونه.. أنا، (شعبان) ، (صبرى)، (لوزه) (فايدة).. و(عيشة)..

تفرش أمامنا صناديق (الملبس)، قطع الشيكولاته الصغيرة فى أوراقها الذهبية والفضية والملونة..

نرص سبع ملبسات فى شكل دائرى فوق ورقة السلوفان ثم نغمس فى المنتصف قطعة الشيكولاته.. بعدها نلف الورقة ونطبقها كما علمتنا، ثم نسلمها للبنت (عيشة) التى تكبرنا- لترصها بحرص داخل (البانبونيرات) الزجاجية.. البللورية.. الفخارية.. ثم تلفها بأوراق السلوفان المزركشة بالرسومات، تربطها بالشرائط مختلفة الألوان.

تأتى خالتى، تملأ الصناديق الكرتونية الكبيرة.. مائة علبة بكل صندوق.. أعدهم لها.. لأنى دون غيرى شاطر فى الحساب، هكذا أخبرتنى وهى تقبلنى ذات يوم..

وبعدها، يأتى الولد (شولح) الذى يكبرنا، يحمل الصناديق على عربة اليد الصغيرة التى يؤجرها.. يجرها.. ينقلها الى محل الحاج (يوسف) فى أول شارع فرنسا خلف زنقة الستات..

- سوف أرسل لكم البضاعة الى بيتك.. عليك تجهيز الشغل و أرساله للمحل.

طيب هذا الرجل، لم يرض أن تخرج خالتى للعمل بمحله مكان المرحوم (أبو شعبان) عندما طلبت منه ذلك لمواجهة أيامها.. هذا كل ماتعيه رأسى الصغير من احاديثهم حولى قدر ماتعى الملاليم النحاسية الحمراء، والبيضاء المخرومة التى تدسها فى أيادينا بعد كل سهرة.. أجمعها مع (شعبان) و(صبرى) من اجل تذاكر (الصورة) السينما..

....

أفرح عندما تصحبنى خالتى معها الى سوق (المنشية)، تشترى لوازمها.. تعرف أن (شعبان) سيهرب منها فى أى لحظة الى أخواله وأعمامه الذين يعملون فى الوكالات الكثيرة المنتشرة فى تلك المنطقة، يجمع القروش والملاليم.. لاتعير الموضوع أهتماما.. يعرف طريق العودة وحده.. ويعرف أشياءاً كثيرة لاأعرفها.. احسده..

- أسمهـــا (البـورصـــة)..

قالت وهى تربت على رأسى، بعد أن تسمرت عيناى الصغيرتان أمام هذا الصرح الضخم، لم تسعفنى مفرداتى الأولية فى قراءة الأسم الكبير الذى يعلوهـا..

- .. وهـذا .. محمـد على باشـا.. جـد الملـك..

قالت وهى تشير الى الرجل الكبير الذى يمتطى حصانه النحاسى* فى منتصف الميدان..

على أن اشد مايسعدنى وينعشنى إنعطافى خلفها الى تلك الأزقة الضيقة خلف المحلات الكبيرة.. أملأ رئتى بهذا الكوكتيل الذى يأسرنى.. خليط ممزوج من رائحة العطور.. البخور.. التوابل.. ترصعه حبات الخرز الملون.. الترتر..الدانتيل.. الستان، وكل لوازم الستات فى (زنقة الستات)..

- أحبـــك ياخالتـــى ..

- وأنـا ايضـا ياأبنـــى..

....

تخاصمـــت مـــع (شعبـــان) و(صبـــرى) من أجـل (لـــوزة).. سرعـان ماتصالحنـــا..

---

* انشا فى عهد الخديوى إسماعيل وتكلف ٢ مليون فرنك فى ذلك الحين .

(صبـــرى) يعرف كل الأخبار المثيرة، يفرشها على مسامعنا – انا وشعبان ونحن فى طريقنا الى المدرسة.. يحكى لنا، ماذا فعل (فالنتيـــو) أبن الشيخ، كيف أنقذ الفتاة المسكينة من الاسر.. جاء طائراً على حصانه، يبارز كل أفراد العصابة، يتساقطون فوق الرمال، ثم يبتسم ضاحكاً وهو يقبل فتاته فى النهاية..

تمنيت فى نفسك أن تذهب معه يوما لترى (فالنتينو).. (شازام).. (زورو).. (طرزان) وهو يطير فى الحبال المعلقة بالاشجار العالية، يشرخ السينما بندائه العالى المميز، تتجمع الفيلة لصوته، تتجه الى معسكر لصوص العاج والماس، تهرسه تحت أقدامها.. بينما تقفز (شيتا) فرحاً، تصفق لما يدور حولها ثم تخفى إبتسامة فمها الواسع بأصابعها المفلطحة...

- مـن أيـن لـك بنقـود السينمـا؟
- أطـوف على اخوالى وأعمامى فـى (المنشية).. يدسـون فـى يـدى بعـض قطـع النقـود.. ويـرددون .. (كـان أبـوك طيبـاً.. رحمـه اللـه)..

لم نملك نفسك صارحتهم برغبتك فى الذهاب الى (الصورة).. لكنك لن تدخن السجائر كما يفعل الولد (صبرى)..

- سنهرب من الممر المظلم بين مخازن الكتب الى الفناء الخلفى.. ننط سور المدرسة من ناحية الكتف المكسور..

- .. اخـاف لـو عـــرف أبـــــى..
- أنت جبان.. لاتصاحبنا .. خاصمنا..
- لاتزعل يا(صبرى) .. سوف أفعل..

وأذعنت لإرادته.. يحركك كيفما شاء، بعد أن حط فى بطنك بطيخة صيفى. الغياب فى الألزامى لاقيمة له، وكل التلاميذ يهربون.. يعودون الى احضان أمهاتهم مرة اخرى..وقد يذهبون للعمل فى (دكاكين) أبائهم وأقاربهم..

- المدرسة لن تخطر أباك.. وانا لن أقول لأمك .. أطمئن!!
- .. رجـــل أنـــت يـــا(صبـرى).. خـــذ قطعــــة سكـــر
- الرجال يدخنــون .. لايستحلبــون السكــر.. أخص عليـك ولـد (خايـــب)..

فعلها (شولح) مع (عيشة).. البوليس .. الكشف الطبى.. خرجت أمها تصرخ.. تملأ الشارع عويلا وبكاءاً..

- .. أننى أتنازل عن مصيبتى ياسيدى..
- .. أسحبى أبنتك وأخرجى ياأمرأة.. لقد سترك القانون..
- المـــوت أهـــون مـــــن (شولـــح)..

بعد أن خرجنا من فيلم (الآباشى).. تأثرنا كثيراً لمشهد الصلح، ورابطة الدم، عندما أخرج العسكرى الأزرق خنجره وأعمل جرحا فوق رسغ الآباشى الهندى، وجرحا آخر فوق رسغة.. ثم وضعا رسغيهما فوق

بعض ليمتزج دمهما فى أخوة أبدية.. أحضر (شعبان) موسا وقال لى:

- أرأيت كيف كانت رابطة الدم بين العسكرى الأزرق والآباشى الهندى؟..
- .. أنت أخى.. تقول خالتى..
- .. لاتكن جبانا..أعطنى يدك..

مددت يدى كى أثبت له أننى لست جبانا بعد أن أعمل بالموس قطعا فوق رسغ يده.. خفت لمشهد الدم، أرتجفت يدى وهو يقطع بالموس فوق رسغى الأيمن، تدفق الدم منى بغزارة.. وضع دمه فوق دمى.. لكن نزيفى لم يتوقف، آلمنى جرحى الغائر ..بكيت.. عدت مهرولا الى البيت، تلقفتنى أمى فزعة.. تولول.. تصرخ..

- ماذا بـــــــك؟
- كنت ألعب، وقعت على زجاجة..

صحبتنى الى المستشفى الأميرى.. ثلاث غرز.. ومحضر للاهمال..

....

يعمل (شولح) الآن عند الخواجة (لطفى) صاحب سينما الدورادو) يطوف أزقة وحوارى الحى، يجر خلفه عربة الأفيشات الخاصة بالأفلام المعروضة.. والتى سيتم عرضها فى اسابيع قادمة.. خلفه كل صغار الحى.. يقف عند كل ناصية..يدق الطبلة.. يلفف المزمار لأى من حوله.. ينطلق، يدمر السكون، يملأ الأركان ضجيجاً محبباً للجميع.. الصغار..

يرقصون.. يهللون.. والنساء ينظرن خلسة من شيش الشبابيك، وخلف المشربيات.. يتفرسن (فالنتينو) - تبارك الذى خلق- وهو يعصر فتاته، يلصقها على جدار الأفيش فوق العربة.. يتنهدن فى نشوة بالغة، ينتظرن عودة الرجال.. ليلقين عندهم برغبتهن فى الذهاب الى (الصورة) .. يكذبن..

نريد متابعة باقى الحلقات الفيلمية المسلسلة (زورو).. يعرفن أن الصغار والرجال يعشقون المغامرة والضرب.. وهذا يكفى لكى يذهب الجميع الى (الصورة)..

نساء الحى يستدعين (صبرى) ليحكى لهن الروايات .. يحفظ كل الأفلام، ويزيد عليها أحداثا من خياله الخصب.. تطفئ لهيب النار المتأججة فى صدورهن.. يدخرن من مصروف البيت، يقترضن من بعضهن من أجل عيون (فالنتينو).. الصالة بقرش ونصف.. وبلكون العائلات بقرشين ونصف.. لكن الحسبة تختلف إن كان فى حوذتهن بعض (كوبونات).. الصابون.. السجائر.. الشيكولاته.. وهى غالباً من الأنواع الرديئة للشركات الأهلية فى المدينة..

ولأنهن لايتعاطين الشيكولاته.. كن يستعملن الصابون على مضض ويروجن إلى نوع السجائر عند الرجال..

وثمة حسبة أخرى عند (عيشة) بايعاز من الخواجة (لطفى).. تعود إلى بيع الكوبونات بثمن بخس إلى الحبيبات من نساء الحارة تعود

إلى بيع الكوبونات بثمن بخس إلى الحبيبات من نساء الحارة.. (عيشة) تجلس فى شباك التذاكر الخاص بالعائلات.. وتخص بالأهتمام خالتها (عزيزة أم شعبان)..تعطيها الكوبونات المجانية من أجل (شعبان).. تعرف إنه عاشق متيم بالأبطال.. دوجلاس فيربانكس.. توم ميكى.. وليم هارت.. لاتشبعه الحفلات الصباحية والهروب من المدرسة.. يعود فى العرض المسائى بصحبة عائلات الحى، بعد أن تعطيهم أمه الكوبونات التى جمعتها له.. تستأمنهم عليه.. توصيهم به.. (يتيم).. الآن عدت تفهم لماذا كان يدخن الولد (صبرى) هذا النوع الردئ من السجائر؟.. ولماذا يذهب ابوك معهم الى (الصورة)؟

- الولد يتيم.. الأم تتألم..الألسن لاترحم.. لابد من رجل ..
- لماذا أنت ؟ والرجال كثيرون

(صرخت أمك فى وجه أبيك عندما عاد متأخراً ذات ليلة)

- تعالى معنا حتى يطمئن قلبك..

....

قام الحى ولم يقعد على دقات الطبلة المصاحبة لعربة الافيشات يجرها (صبرى) تلك المرة.. اليوم الاثنين.. فيلم جديد.. (شولح) النحيف يرتدى بدلة سوداء.. يلبس قبعة سوداء كرية الشكل .. العصا فى يده.. يطوحها فى الهواء.. يأتى بأفعال أكروباتية مجنونة، يضحك لها الجميع .. يسقط شاربه القصير المفلطح، يرفعه من الأرض، يلصقه من جديد، بينما (شارلى شابلن) على جدران الأفيشات..

يهلــل الجميــع.. اليــوم موعدنــا مــع المتشــرد..

يسكن (شولح) و(عيشة) وامها فى الغرفة التى تعتلى سطح السينما فى مقابل أن يقوموا بكنسها وتنظيفها يومياً بعد خروج آخر الزبائن.. (شعبان) يزورهم كثيرا، ويحكى لى .

....

كاد يفتضح أمرك عندما صحبكم أبوك الى (الصورة) لرؤية (ابن الشيخ).. أخذت تهمس فى أذن أمك التى عن جوارك، تسرد كل أحداث الفيلم قبل أن تقع على الشاشة..

- هل رأيت الفيلم من قبل؟
- (شعبــان) حكــاه لــى !!

كرهت أجازة الصيف الطويلة.. أفتقد (شعبان) الذى ذهب الى السوق الكبير (بالمنشية) يعمل صبيا فى محلات ذويه.. تمنيت لو كنت معه أطالع تلك الأمكنة المحببة الى قلبى.. سوق المغاربة.. سوق الصيارفة.. سوق الدخاخنية.. سوق الخيط.. الجمرك..شارع فرنسا..

يخرجنى أبى من عزلتى، يحس بوحدتى احيانا، يصحبنى معه إلى عمله بمحلات (هانو الكبرى)، بعد أن أرتدى أفخم ماعندى، و(الكاسكيتة) فوق الرأس..

- زى أولاد (الأفرنج) بالضبط..

تقول أمى وهى تلبسنى، ثم تهمس فى أذنى بعد أن تقبلنى:

- أوعى تعمل شقاوة.. أحسن الخواجة يزعل منك..

يلفحنا أريج الزهور وعطرها ونحن نخترق (سوق الورد)..تبهرنى الواجهات الزجاجية.. الكريستالية.. البللورية للمحلات الكبرى.. تنتظر علية القوم.. الباشوات .. الاجانب.. الأميرات..

بينما الأفندية عند الأبواب لأستقبالهم.. شملا.. تورنازكى.. جيوفانى.. داود عدس.. والأشجار المهذبة تفرش جوانب الشوارع..تظلل الأتومبيلات..

كل شئ مختلف فى (المنشية الصغرى) عن منشية خالتى (عزيزة).. يتملكنى أحساس غريب وأنا عن جواره.. (أبن باشوات بصحيح)..

....

....

بهرتنى القطارات الصغيرة المتحركة، (الترميات).. الطائرات.. الأتومبيلات.. المسدسات.. البنادق.. حفظت مكانه.. محل (جيوفانى).. لعب أولاد..

أخبرت (شعبان) بما رأيت .. لم يصدقنى.

- خذنى إليه .. إن كنت لاتكذب..

صحبته الى سوق (الورد).. وصفته له.. أنزويت.. أرقبه من وراء أحدى الأشجار حتى لايرانى أحد، ويخبر أبى.. جرى (شعبان).. يدخل المحل بعد أن تطلع إلى المعروضات فى الفاترينات الكبيرة.. ماذا يريد وملابسه الرثه تفضحة؟

- .. سألته عن ثمن (السينما) المعروضة..
- .. كـم ثمنهـا؟
- طــــردنــــى !!

....

....

ربطتك أمك الى (رجل) السرير بعد عودتك من المدرسة ذات يوم.. أغلقت باب الغرفة والشبابيك، وأنهالت عليك بالعصا التى كانت تخبئها منذ لعب الفأر فى عبها فى ليلة (الصورة) المشئومة.. اسرعت إلى (الحصالة) فوق الدولاب.. تشخشخ بقروش قليلة.. شبه خاوية..

- أيـن الفلـوس ياولـــد؟
- ســرقتهـــا يأمـــى..
- .. لاتنطق تلك الكلمة يا...

تضربك بشده وهى تهذى بكلمات غاضبة صارخة.. للمرة الأولى ترى ثورة أمك.. لم تصدق نفسك.. أعنف من أبيك..

- أصدقنى القول حتى لاأذبحك؟
- كنت أذهب مع (شعبان) الى السينما.. نهرب من المدرسة.. الولد (صبرى) يبيع كتبه وكراريسه.. ويدخن السجائر..
- يافضحتـــــى .. يامصيبتـــــى!!

وتنهال على جسدك تغرس أسنانها فى مواضع مختلفة، تؤلمك، تصرخ.. تبكى..

- أياك أن تصاحبه..تمشى معه.. يريد أن يتلفك كما أتلفت أمه أباك..

ولكنك لم تفهم..وعدت تتوسل إليها أن ترفع عصاها التى تؤلمك.. تقسم لها.. لن اصاحبه.. لن أصاحبه .. لن أصاحبه

- لو عرف أبوك ماكان منك سيقتلك
- لاتخبريـه ياأمـى.. لاتخبريــه..

....

حصل أبى على علاوة.. أنتقلنا الى شقة جديدة فى نفس الحى.. لاشريك معنا فى السكن..هز الحدث جيراننا..(هذه غرفتك ياعباس).. تقصد سجنى ياأبى.. صرخت فى فراغ الجدران العالية.. (شعبان) أين أنت؟

....

نجحت.. تخطيت التعليم الألزامى من رابعة أولى.. مبروك .. قالها (شعبان).. عليه أن يكمل فى التعليم الأولى حتى السنة السادسة.. بكيت للنجاح الذى جاء يفصل بين طريقينا، يبعده عنى مرة أخرى..

- وعدتنى بالساعة بعد النجاح ياأبى.. وزميلى فى الفصل الجديد يلبس ساعة ياأمى..

تخلع قرطها، تسلمه الى أبى، يذهب إلى (بنايوتى) ساعاتى الحى... المقدم ريال فضى يارجل، ونصف الريال قسط شهرى، وبعدها يعود إليكم قرطكم.. فرحنا كثيرا يومها.. نعم .. فرحنا..

....

....

....

٣ - الأسئلــــة

مأأسعدك لأنك مازلت طفلا.. لاتشعر بما تخبئه الأيام لك.. وبالرغم من ذلك، تحيرنى معك، أجد كل الصعوبة فى الشرح لك.. كيف يمكن أن أدخل رأسك؟.. أرجوك..

حاول أن تفهمنى.. اليوم.. خرجت للمعاش.. تركت وظيفتى.. ودعت كل الناس الذين عرفتهم فى المكان.. ولأننى لم أوطد علاقتى بأى منهم.. خرجت كما دخلت.. بلا صديق.. أقصد بلا أخ، أهرع إليه إذا ألمت بى كارثه.. وحيداً أصبحت، كالبالونة، يتقاذفها الفراغ.. يحملها.. يطيرها بلا هدف فى الكون الممتد..

أستأذنت منهم حتى ألملم أطرافى، أجمع نفسى.. ثم أعود إليهم فى المساء، ننظر فى أمر المشروع..

لاتفهم؟.. أعرف إنك سترهقنى كثيرا حتى أصل الى رأسك..

إنهم أبنائى.. نعم.. كانوا فى مثل سنك ويكبرونك الآن.. يعيشون عالمهم..لايفكرون فى أمرى..لايشاركونى همومى.. يتجنبوننى جميعا.. يعتقدون أننى غريب الأطوار.. وكذلك أمهم.. أقصد زوجتى..

"أعرفها؟" تعرفها ياعباس.. «لوزة؟» .. ليست (لوزة).. «ومن هى؟» .. انتظر حتى تعرف كل الأخبار عندما نلتقى جميعاً.. نعم.. هذا

ماعقدت عزمى عليه.. أن أجمعكم.. عقود رحلتى.. أطلعكم على مشروعى، حتى تقفوا معى فى مواجهة الأبناء..أحتاج **لشهادتكم** امامهم.. فانتم عصير التجربة والصبر.. أريدكم حولى، قبل أن ينخرنى السوس.. الاولاد يريدون شجرة جديدة..

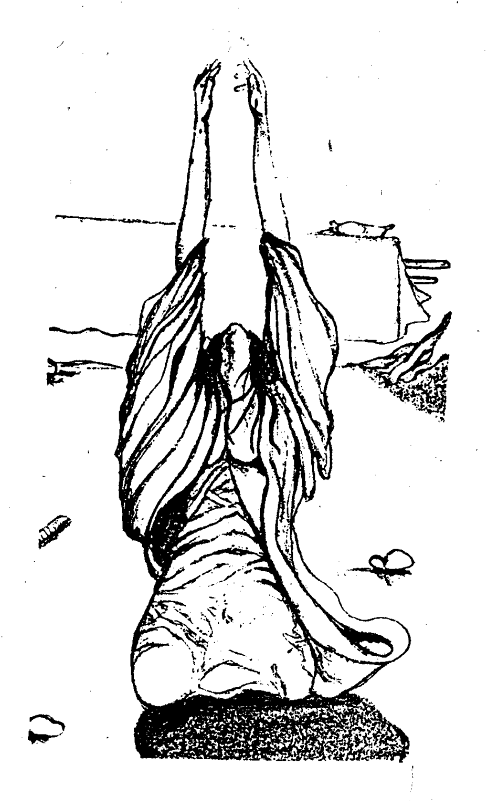
مازلت لاتفهم.. دوختنى الاسئلة الصغيرة التى تبدرها حوالى.. أطمئن.. أمك طيبة، لم تخبر أباك بحكاية (الحصالة).. نعم.. نعم ياعباس.. كنت أحبها واحب ملاليمها النحاسية الحمراء.. أهرع الى أقماع السكر الذى ذاب فى أيامى الخضراء ضاع طعمه من فمى الان.. وضاعت جدتى من رأسى.. أقسم لك أن الايام هرست تحتها كل الاشياء الصغيرة والجميلة.. لاأعرف ياعباس لماذا تحمل الذاكرة وقائع بعينها؟ .. ربما لانها نقط التحول التى لاتنسى.. ربما.. لكن، كيف السبيل لأشرح لك.؟ والاسئلة الكثيرة التى تملؤ راسك الصغيرة، تطل من عينيك فى بلاهة أعرفها..

لم تصدق بعد أننى احمل رحلتك.. دعنى الآن أصحبك إلى باقى العقود، نلتقى معهم.. ربما.. تعرف كيف أمتطيت الأيام لتصل الى كل هذا الشيب الذى يملأ رأسى..

....

....

نشر هذا الفصل فى جريدة الأهرام المسائى فى ١٩٩٣/٤/٤



عبـــاس الثـــانى

١٩٤٠

- رأس التين الابتدائية.. يالك من طفل يرتدى الزى المدرسى.. لماذا تنشد أغانينا؟ تسير فى موكبنا؟ ترتدى قمصاننا؟ الزرقاء.. لا.. لا.. بل الخضراء شباب الوفد.. لا.. مصر الفتاه.. معركة.. وأمى هناك حريصة على أن تحيك لى قمصانا بيضاء أو ذات خليط من الألوان المتداخلة.. هكذا أمرها أبى.. لا ألوان مميزة فى بيتنا..

١٩٤٢

- الثعلب فات.. الذعر شديد.. والاشاعات كثيرة.. روميل فى الصحراء.. الانجليز فى عابدين.. ٤ فبراير فى التاريخ.. الشعب مع الألمان.. الملك مع الايطاليين.. الحكومة مع الانجليز.. والعلمين.. نقطة تحول.. النصر والحظ.. وأنا فى النافذة، أطالع حظى.. (نادية)..

١٩٤٥

- ٨ مايو.. أنتهت الحرب، رقص العالم تخلصا من (هتلر) ورقصت تخلصا من (أحمد أنور).. نجحت فى الابتدائية.
- سبتمبر..أنتقلت للباب الحديدى الكبير.. ناحية الباب الاوسط لعامود السوارى.. نبت شاربى.. مدرسة رأس التين الثانوية..

١٩٤٦

- يوليو.. قنابل الانفوش.. الشلالات.. أسحق النديم.. النادى البريطانى..
سألنى أبى: تعرفهم؟ .. أقسمت.. مجموعة من الطلبة تلقى قنابلها على سيارات الجيش البريطانى..
- ضمونــــى إليكـــــم..
- راقبناك كثيراً.. لاتصلح..

١٩٤٨

- فلســطــــــين..
- (الثقافة) فى يدى، وعينى على (التوجيهية).. وداعاً (حسن مرسى).. خذ فضيحتى فى ذيلك، إنك لاتدرى معنى الخوف.. كل الرجال عيونهم زائغة، ظفر (فريدة) برقبته..تزمجر أمى وهى تنظر لأبى.. عيب ياأمرأة.. ده الملك.

١٩٤٩

- ١١ فبراير.. الاحتفالات بالعيد الملكى.. ينحنون أمامه وأقدامهم الى الوراء.. يتصرفون بذل زائف.. يضحك فى تلذذ.. أنظر إليهم.. إنهم لايحترمون أنفسهم.. فكيف احترمهم.
- ١٢ فبراير.. تصرخ المدرسة..تهتز الامة.. يولول (مصطفى حامد) ورفاقه..يبكون (الامام الشهيد).. أبكى معهم..
- يونيه .. زغردت أمى.. وزعت الشربات، نادت الجيران.. ضمنى أبى الى صدره.. أنت أطول منى ياولد غمرنى بالقبلات.. التوجيهية..
- أكتوبر.. كلية الهندسة - جامعة فاروق الاول.. أول يوم دراسى فى الجامعة هو الترمومتر السياسى فى مصر.. يتقرر فيه مصير الوزارة القائمة بالحكم لعام أو لنصف عام.. مندوبو وكالات الانباء، مراسلو الصحف الاجنبية يسألون.. أيه الاخبار ياباشمهندس؟ أبتسم..لسه بدرى.. لايفهمون ماأرمى إليه. يهرعون خلفى..

١ - اللقـــاء

أعرف المكان الذى يركن إليه، ليفرغ حمولة الصدر والرأس.. تقلب كثيرا فى ايامه.. يسبح وحده فى التجربة.. تتقاذفة الأيام فى حركة المد والجزر، تلقى به إلى الشارع الواسع الذى يبلع الصغار والأقزام، حيث الجماعات، الأحزاب، الكباريهات يصنعون أحداث الأربعينات الساخنة.. والطلبة هناك.. يصرخون.. يقاومون.. المثلث الحاكم.. السلطة، السراية، البرلمان.. لكنه مازال يتحسس موضع الأقدام، بحثا عن هوية أو ملامح.. والمراهقة بحر عميق..

- اهـلا ياعبـاس
- تعـرفنـــى؟
- تأملنا أولا!!
- أبنك يشبهنى.. وأنت فى ملامح أبى..
- أنـا أنـت.. وهـذا أنـت..

لم أحتج لكثير من الجهد حتى يفهم.. لماذا جئنا؟ ولماذا نبحث عنه؟

....

....

٢ - التكـويــــن

[بلادى .. بلادى فداكِ دمى

وهبتكِ حياتى فعيشى وأسلمى]. [*]

تنشد الطوابير المشدودة تحت الطرابيش الحمراء فى فناء المدرسة، عندما يرتفع العلم الأخضر، المرصع بالهلال الأبيض والنجوم الثلاثة البيضاء..

لكنك تندس فى الصفوف الخلفية الى جوار (خليل)، (رجب)، (أنور).. ..تفتحون أفواهكم.. تحركونها.. تثرثرون همسا فى أمور بعيدة، بينما الذين فى الصفوف الامامية هم فقط الذين ينشدون، ثم يهتفون قبل الانصراف الى حجرات الدراسة..

[يعيــش الملــكَ فــاروق الاول..

يعيــش.. يعيــش.. يعيــش]...

كنت تضحك كثيرا لتلك الافعال التى يأتى بها (خليل).. الجميع يأنسون لوجوده بينهم.. يحبونه.. خفيف الظل.. يبدر النكات فى كل حين، وتجد فى لكنته النوبية ترنيما محببا.. وفى غنائه صدى يشجى النفوس الصغيرة.. يحفظ كل الأغنيات.. لايحفظ أى قطعة شعرية من المحفوظات.. (أفتح إيدك ياولد).. يعرف كل الألعاب .. كرة قدم..

---

* نشيـد الملـك فـى الاربعينات ..

سلة.. جمباز.. (أشياء لايعرفها شعبان) كثيراً ماكان السبب الرئيسى فى تفوق مدرستنا على جميع مدارس المنطقة..

كنا نخرج جميعا لمؤازرته، وفى يوم التصفيات النهائية فى عيد العرش خرج الناظر معنا.. وهلل كثيراً مثلنا، عندما جلب (كأس الملك).. تسلمه من مندوب السرايا بكل ثبات، ثم اتجه صوب الناظر، يسلمه له، وسط تصفيق وحسد الجميع.. بكى الناظر من التأثر..

خليـل.. أنت صديقى.. بعثك الله لى لتشغل الفراغ الذى تركه شعبـان..

....

- أسمه (خليل) ياأبى.. بطل مدارس إسكندرية فى الجمباز.. و.. و.. ويلعب فى أشبال النادى السكندرى..
- .. ماشاء الله .. وتذاكر دروسك أيضا؟
- نعم.. ياعمـى (قـال فـى خجـل)
- ماشاء الله.. باركك الله ياولدى.. أوصيك خيراً بأخيك (عباس).. وحيد هو.. لاأخ له ولاأخت.. علمه ماتعرف ياولدى..

وللمرة الأولى يسمح لك أبوك أن تستقبل زميلا فى غرفتك ذات الجدران العالية.. ويثنى عليه.. وتفرح أمك لذلك أيضا وتعود تجهـز لكما الاكل والشاى.. تجهز وتغلق الباب خلفها.. لتذاكرا.. لكنكما تهرعان الى النافذة.. تلوحان لها فى حركات صبيانية صغيرة.. تلوح لكما، وتفر هاربة قبل أن يلمحها أهلها أو أى من الجيران.

- تشبه الملكة (فريدة).. لذلك تعلق صورة الملكة على حائطك؟
- .. أحبها.. أسمها (نادية)..
- يـابختـك ياعبــاس!!

فرحت فى نفسك عندما حسدك (خليل) على جارتك التى تحبها.. لأول مرة تأتى عملا يحسدك عليه الآخرين..و..

وعدت تتقمص شخصية (شعبان).. تردد ماكان يحكيه على مسمعك من قصص وافلام، فيلتف حولك رفاقك فى المدرسة، يحسدونك مرة ثانية على معرفتك الواسعة وصحبتك اللطيفة.. والفتاة التى تحبها..

- (عباس).. أحسن حارس مرمى لفريق المدرسة.. ياأستاذ

ولأن الجميع يثقون فى خبرته بالملاعب.. أستطاع أن يثبت أقدامك معهم، بعد أن لقنك كثيرا.. عينك على الكرة دائما.. أفرد جسمك بالكامل.. أقفز فى إتجاهها.. دع الهواء يحملك.. ألقفها.. أو أبعدها بقوة..

وتعلقت بالكرة والملاعب.. شدك (خليل) إليها.. مرن أنت، سهل القيادة والتشكيل.. حررك من أسر (شعبان)، وسحر السينما بعض الشئ.. لكنه ربطك إليه.. تفتقد غيابه..

....

تخجل أن تقف وحدك إلى نافذتك .. وهى على الجانب الآخر.. تنتظر منك إشارة.. تخذلها..تصفعَ النافذة فى وجهك، تهرب للداخل..

– تعرف التلميذ (أحمد أنور)؟ معك فى المدرسة.

– زميلى فى الفصل.

– لكنه يكبرك بأربع سنوات على الاقل.

– لا أعرف ذلك..

على كل حال.. هو ابن (أنور أفندى).. رئيسى فى الشغل.. سوف يأتى ليذاكر معك.. طلب أبوه منى ذلك..

لم تحتفل لتلك المفاجأة.. (أحمد أنور) الذى كاد يضربك يوما.. عندما ضحكت عليه أنت وخليل سيصبح صديقك.. يأتى منزلك، يذاكر معك..

– أنت مدرس ولاتلميذ؟

– أمشى أنت وهو .. حتى لاأضربكما..

كان يخجل من طوله وصوته الذى يقرب صوت الرجال، وسرواله القصير الذى يأتى به للمدرسة.. و.. والطربوش فوق رأسه.. أمر (سالم) أفندى – مدرس الحساب– هؤلاء الأولاد الطوال والكبار– الذين ظهرت شواربهم – أن يجلسوا فى المقاعد الاخيرة فى الفصل.. كان يخجل منهم لأنهم يزيدون عليه طولا، بينما يمشون منخفضى الرءوس خجلين، لأنهم مازالوا يجلسون مع تلاميذ أصغر منهم.. ويتعلمون بالمدارس الابتدائية..

- أقسم لكم بأنكم ستعيدون السنة السادسة، كما أعدتم السنة الرابعة والخامسة.. إنكم لاتتعلمون شيئا.. أحلق شاربى إنْ فلحتم.. تضحكون !!

يصرخ (سالم) أفندى غاضباً فى الأولاد الكبار الذى ينامون بالصفوف الخلفية..

وجاء الانيس الجديد الى حجرتك الرطبة ذات الجدران العالية، يبدد الوحشة ويشغل الفراغ الذى يملؤك فى غياب (خليل) المتقطع..

وتعود أمك تجهز لكما الأكل والشاى.. وتغلق الباب خلفها.. لتذاكرا.. تصحبه الى النافذة، تريد أن تستمد من وجوده بعض القوة.. لتفرش أبتسامة على وجهك.. لكنه يسبقك إليها بإبتسامة جريئة مفضوحة.. يسبل عينيه..يعض شفته السفلى.. يغمزلها..تغمزله.. ثم تنسحب الى الداخل..تستجمع كل قواك.. تشده.. تسحبه إلى داخل الغرفة، تخاف أن تشتكى الى ذويها ماكان من زميلك الجديد..

- (لاعليك.. لاتخف.. سوف تعود بأسرع مما تتصور.. أنظر!!)

لم ينته من كلماته حتى عادت الى نافذتها مرة أخرى، تحمل أختها الوليدة فى احضانها.. يتقدم ضيفك ليحتل مكانه بجوار النافذة.. وانت فى اثره.. لاتفهم.. يرفع أصابع يده المضمومة الى شفتيه يطيرَ لها قبلة.. تبتسم له.. كدت تصرخ فى وجهها، تقفز من نافذتك، تلطمها..حاولت أن تسحبه للداخل، لكنه نهرك، هزمك بتكوينه الجسمانى وفحولته المتفجرة، فواريت خجلك.. جرجرت هزيمتك..

– أنــا طالــع أعمــل شــاى..

....

(مجموع أى ضلعين فى المثلث أكبر من الضلع الثالث).. نظرية.. نحيت الهندسة جانبا.. رحت تفكر فى ضيفك الثقيل.. كيف الخلاص منه؟.. يحرقك كل يوم.. لاتنام منذ بكيت هزيمتك فى المطبخ.. مزقت صورة الملكة.. خائنه.. وحاولت أن تكيد له، وتدبر عند أبيك حتى يخلصك منه كما جاء به..

– الولـد احمـد لايذاكـر ياأبـى.. ويضيـع وقتـى..
– أخص عليك.. ألم أخبرك بانه يكبرك .. يجب ان تناديه.. احمد (أفندى)
– لكنــه زميلــى فــى الفصــل
– قلت .. أسمه .. أحمد أفندى..

وعدت تكرهه وتخافه، له منزلة كبيرة عند أبيك.. عليك أن تتصالح مع واقعك الجديد.. لاشك أن علاقتك به سوف تنتهى بنهاية المرحلة الابتدائية.. سجن جديد تخنقك.. أستسلمت... (خليل) لماذا تتركنى وحدى؟

....

عند الامتحان... تختلط الأشياء فى رأسك.. المواليد مع الموتى.. الضلعان والزاوية..الجذر والساق..تتداخل الأبيات الشعرية.. الفتوحات والهزائم.. أكتب قصة..

وتتقيأ كل مافى رأسك فى أوراق الاجابة أمامك.. ترجع المنزل برأس خاوية تماما.. لقد خرجت كل الاشياء التى سهرت تحفظها.. الان يمكنك ان تتفرغ لها..

وحدك تطل من النافذة.. تبتسم لها.. تبتسم لك.. تكتشفها من جديد تقاطيع الوجه.. الشعر الفاحم.. العينين.. تجرأت.. صرخت إليها.. أحبك..

....

نتيجة الامتحان فوق السبورة تقول:

"اسماعيل بدر" الاول على المدرسة ..... (صاحب محل احذية الآن).

"السيد طلب" الذى كان ينام بجوار (احمد أنور) فى المقاعد الخلفية- راسب.

"اسامة رجب" ناجح .. خلع النظارة التى كان يلبسها.. (مات فى حادثة)

"عمر السيد" لم أهتم بأمره يوما- راسب. (يحتل مركز حزبى مرموق الأن)

"حسن مرسى" والذى كان يطوف علينا بالصورة الفاضحة لفاتنات هوليود- دور ثان.. (اكبر ناقد فنى الآن).

"أحمـــد انـــور" فرحت كثيراً لأننى تخلصت منـه- ناجـح فـى متيـن داهيـة

"خليـل سليمـــان" أنقذتـه درجـات التفـوق الرياضـى - ناجـح..

"سعيـد الشـ ـخ" كنت أغششـه.. كلمـة.. كلمة - راسـب

الآن تغيرت تضاريس الدنيا فى نظرك.. اصبحت رجلا فى المدرسة الثانوية .. نبـت شاربـك ونمـا..

عليك أن تختار بعناية اصدقاء رحلتك القادمة.. تحكم الحصار حول فتاتك.. لاتطلعهم عليها إن جاءوا إلى غرفتك الرطبة حتى لاتتكرر أيام (احمد أنور) الكئيبة.. حمدت الله فى نفسك، إنه تركك الى التعليم التجارى.

- (خليل).. لماذا تفعلها وتذهب فى اثره؟
- الفقـر ياصاحبى
- انـا فقيـر مثلـك.
- عائلتى تنتظرنى..

أدرت مؤشر (الراديو) - لم تنم يوم اشتراه ابوك- تبحث عن اغنية على الموجات الثلاث.. تبدد وحشتك.. (طول عمرى عايش لوحدى...)

لاحظ صدر (جين راسل)، عيون (اليزابيث تيلور)، قوام (ايفون دى كارلو)، (ريتا هيوارث).. (فيفيان لى) و... و... تذكرته.. وعدت ترتاح إلى اختيارك... (حسن مرسى).. زميلك القديم.. الوحيد الذى أنتقل معك من (سادسة/ثالث) بالمدرسة الابتدائية الى المدرسة الثانوية.. ألتحقت بقسم الرياضة وألتحق بالقسم الأدبى..

يعشق الفن والنجوم.. يتابعهم.. يرصد تحركاتهم.. يركن اليهم عندما يهربون من حر القاهرة القائظ الى نسمات الصيف التى تداعب مسارحهم الخاصة وتفرش كل كورنيش البحر..

يصادقهم.. يعرفونه.. يكتب أخبارهم فى المصيف.. يطيرها الى بعض المجلات الفنية بالعاصمة.. يعرف كل أصحاب العرض المسرحى والسينمائى بالمدينة.. يدخل مجاناً..

يرأس فريق التمثيل بالمدرسة.. يخرج بعض الأعمال أحياناً لثقافته الواسعة بالمسرح..

لذلك أقتربت منه.. توطد صداقتك به، حتى يفسح لك مكانا بجواره ذات يوم..ينالك بعضا من نجوميته وشهرته الواسعة بين طلبة اسكندرية وكبار الفنانين..

ولعل أهم ماجذبك إليه إنه ينظم الشعر والزجل.. ويكره الساسة والسياسة.. بالاضافة الى انه كتاب مفتوح تقرأ فيه اسرار النجوم والكواكب..

*.. هربت من أهلها.. تلقفتها (بديعة) فى صالتها بعماد الدين.. خيرتها.. الفتح أو الشارع.. أختارت..

*.. معظم الفنانات والراقصات فى الكازينوهات والكباريهات قاصرات.. هاربات.. من الكفور، النجوع، والفقر..

*.. أسمها (ليليان كوهين).. خرج بها (احمد سالم) من فندق وندسور بالاس- امها صاحبة (بنسيون) بالرمل- فنبلته المثيرة القادمة.. كاميليا..

*.. عندما تزوجت (بديعة) من (الريحانى).. حاولت ان تبيع له الحب ففشلت .. وحاول هو أن يأخذه مجانا ففشل ..

عدت تنجذب الى مداره ..تدور فى فلكه، ترافقه فى زياراته ومقابلاته الميدانية الصباحية على الشواطئ البعيدة خلال الصيف.. ميامى.. سيدى بشر.. جليم.. حيث تسبح الكواكب والنجوم..

- تنظر من تلك الفتحة.. تحرك تلك العجلة حتى تضبط الكادر.. المسافة وعندما تبدو الصورة واضحة أسحب نفسا عميقاً ثم اضغط الزر وارتعدت فرائصك خوفا.. ماذا لو عرف ابوك؟

لذا كنت حريصاً على الا تتأخر خارج البيت عن السادسة مساء حتى لاينفجر بركان الغضب الساكن فى صدر أبيك، يشعل البيت نارا..

- عباس (افندى) المصور.. زميلى فى المجلة. (يكذب حسن)
- .. كاسك.. ياعباس أفندى. (يناولنى المنولوجست الشهير)
- فى صحتكم .. ياشباب. (ترفع الفنانة المشهورة كأسها)
- فى صحتك.. ياست هانم

أتجرع الكأس على مضض، أفعلها للمرة الاولى، حتى لايفتضح امرى.

- أحكى لنا أخبارها .. ياحسن !! (تتوسل الفنانة فى الاول)
- فشل فيلم (المتشردة) الذى انتجتة .. فتزوجت المخرج..
- الست عايزة حكايتها مع الالمان.. يعنى السجن..

(يضحك المنولوجست)

- اخص عليك ياحسن .. اريد فضيحتها.
- معذرة.. عندنا ميعاد مع وزير الأوقاف.. أليس كذلك ياعباس افندى؟ (يكذب حسن)
- نعم.. نعم ياست هانم.

....

....

يسحبك فى طريق عودتكما الى احدى الشقق، ناحية (كامب شيزار) يخبط.. تفتح له .. (جاهزين يابنات).. (جاهزين ياحسن افندى)..

-.. ستعود ثانية؟ (سألتك الفتاة التى أنفردت بها فى غرفتها وهى ترتدى ملابسها).

-.. نعم ..وحدى .. اعطنى اخبارك..

وفى طريق عودتك للبيت، تذكرت أباك، فتبددت فى الهواء كل الهمسات والوشوشات الجميلة.. وطارت آثار الخمر من رأسك..

....

الحديث عن (خليل) يملأ المدينة .. أصبح نجم النادى السكندرى (صديقى هو) تردد فى كل مكان.. تستثمر نجاحه.

....

لم تنقطع الحرب الباردة التى يشنها (مصطفى حامد) فى طابور الصباح كل يوم على فريق التمثيل الذى يرأسه الذنب القواد.. يقصد (حسن مرسى)

- .. يريد ان يدنس الحرم المدرسى ببعض العاهرات بحجة ان التمثيلية التى يريد أن يلعبها على مسرح المدرسة تتطلب عنصراً نسائيا.. ابداً لن نستقبل هذه الراقصة أو غيرها..

- .. أيها الأخوان.. أيها الطلبة.. إن هذا الفاسق يضللكم يريد أن يبعدكم عن الدور النضالى المطلوب منكم فى معركة الكفاح الوطنى.. لقد استشهد اخوة لكم بالأمس القريب فى القاهرة.. هناك

فوق كوبرى عباس.. ومازال أخوانكم هنا، يقومون بالأعمال البطولية الخارقة ضد قوات الاحتلال الغاشم فى الانفوشى.. أسحق نديم.. الشلالات .. النادى البريطانى..
أطردوا هذا الفاسق من بين صفوفكم.. لاتدعوه يغرر بكم كما تمكن من بعض الصغار.. ذوى النفوس الضعيفة و..

(لاشك إنه يقصدنى.. فقد نصحنى يوما بالابتعاد عنه).

....

عادت تحسدك على هؤلاء الفنانين الذين ألتقيت بهم عندما أطلعتها على صورهم من مكانك بالنافذة، واخذت تنسج لها قصصا من خيالك عن الصداقة التى تربطك بهم .. لكنك دفنت فى صدرك واقعة (الخمر) .. وفتاة (كامب شيزار)..

- تريدين صورة؟. أذن .. أبتسمى..

ضبطت العدسة.. ضغطت الزر.. صورة..

....

قال: أستاذ اللغة العربية

- .. أنت ناضج ياولد.. تفكيرك أكبر من سنك.. أتوقع لك مستقبلا باهراً.. ونتيجة طيبة بأذن الله.. سيكون لزميلكم شأن كبير ذات يوم.. أحفظوا هذا عنى.

تمنيت لو كانت تلك الكلمات تخصك.. لكنها الحقيقة، لايختلف أثنان على أصالة معدنه.. وطنيته.. نقاءه.. يؤم الطلبة ظهر كل يوم فى مسجد المدرسة. ثائر .. قوى.. (مصطفى حامد)..

....

- .. إنه يستمد قوته من صلة القربى بناظر المدرسة..
- .. لهذا أستدعاك وكيل المدرسة؟
- نعم.. إدارة المدرسة ترفض استقبال (ببا عزالدين) والغت المسرحية تحت حملته الضارية.

(ضحكنا .. وانصرفنا)..

....

ترك (احمد انور) المدرسة التجارية، بعد ان مات والده فجأة.. تدخل ابى لدى المسئولين بالعمل والخواجة الكبير، ليحل الابن محل ابيه نظراً لظروف امه المريضة.. لاعائل لهم.. واحتل ابى مكان المرحوم رئيسا لمخازن (محلات هانو الكبرى)..

....

اختل توازنك.. كدت تسقط أرضا عندما اخبرك (حسن مرسى) إن فتاة (كامب شيزار) حامل.. تمنيت لو تنشق الأرض تبلعك..

- ياليتنى مت قبل ان افعلها .. ابى.. امى.. الفضيحة.. الناس

- زرتهـــا كثيرا من وراء ظهـــرى؟
- مرتان فقط .. ساعدنى ياأخى.. كيف الخروج من المأزق؟.
- لاعليك أعرف ممرضة يونانية .. فقط .. دبر عشر جنيهات..
- خذ ساعتى .. خذا الكاميرا .. اقرضنى.. انقذنى.. سمعتى .. شرفى بين يديك لاأريد مصير (شولح
- لاتخــف .. لاتبــك.. سأتدبـــر الامـــر..
- سأحفظها لك ياأخى.. سأحفظها ياحسن..

وعدت تنزوى بعيداً عن العيون التى تعرفك.. لاتخاطبهم تحادثهم.. تثرثر معهم كالعادة، حتى احتار الجميع فى امرك.. الى اى الجماعات أو الاحزاب تنتمى من خلف ظهورهم.. بلهاء لايعرفون مصيبتك.. ليتنى ماسلكت طريق الحلم الاحمر.. وليتنى .. وليتنى..

....

....

- أراك هزيلا ياولدى .. نبهنى أبوك لذلك .. ايه الحكاية ؟
- الامتحان على الابواب.. ادعى لى ياأمى..
- دعائى لك لاينقطع.. لكن .. اين ساعتك ياعباس؟
- .. تخلصت من قبضته القوية على معصمى اثناء المظاهرة.. إنخلعت الساعة فى يده، فرح بها.. وفرحت لهروبى.. لاتخبرى أبى..
- فى ستين داهية الساعة.. خذ قرطى مرة اخرى ..

صباح اليوم التالى، جاءنى أبى بساعة أخرى من (بنايوتى).. لم يعاتبنى كثيرا، بل نصحنى بألا أكرر فعلتى مرة أخرى..

....

وأردت أن تتطهر من رجسك .. تكفر عن فعلتك الحقيرة.. أغتسلت .. ذهبت اليه، ترتجف فى حضرته بالرغم من إنه يناهزك السن أو يزيد ببضعة اشهر .. لكن مساحة النضوج والمعرفة والوطنية عنده تكشف لك حقيقة واقعك الفقير.. مناضل .. غيور.. تمنيت لو تحمل فى نفسك بعضا من إيمانه..

- .. اللـه والوطـن.. ياعبـاس..
- أتمنـى أن أكون جندياً بينكـم..
- .. مرن أنت .. سهل .. راقبناك كثيراً..
- كلفونـى .. اختبرونـى ..
- لانستطيع الاعتماد عليك.. قد تضيعنا..
- صدقنى.. حاولت كثيرا ان اخلع عنى ثوب الجبن البغيض.. ساعدنى ياحامد.. ساعدنى ياأخى..
- .. (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)..
- تعنـى أنـه يمكـن أصلاحـى.
- (وإذا عزمت فتوكل على الله)..
- سأفعـل ياحامـد.. سأفعل..

ولكنك لم تفعل شيئاً ولم تحاول.. بل أسرعت الى النافذة تراقب فتاتك من جديد

....

....

– مبـروك.. وعقبال التوجيهية
– مبـروك لـــك ايضـــا..
– سأكتفى بالثقافة الآن.. قد ألحقك بالجامعة فى يوم ما.. المجلة تنتظرنى فى القاهرة..
– ســوف اراسلــك دائمـــاً
– أرجو هذا .. مع إنك كنت تتجنبنى فى الايام الاخيرة..
– أقسم لك.. حالة لاأرادية.. لاأعرف لها سبباً..
– .. أحفظ عنى ياعباس.. إذا تاب الانسان وأصلح فانه يكره المجتمع الذى رأه عاريا !!

....

....

"أنا والعذاب وهواك.. عايشيين لبعضينا"
تبتســـم لهـــا ..تبتســـم لـــك..

....

....

جدول مندليف.. الوضع الأول لجاوس.. قوانين نيوتن.. نظرية أبولونيوس.. مدام كورى.. مغامرات البرجدير جيرار

- اسمى .. **عبد الرحيم الأسود** .. موسوعة لكل ماتحب.. أرصدك من زمن..
- تشرفنـــا .. والمطلـــوب؟
- صداقتك بأى ثمن تحدده .. فالجميع يرتاحون اليك.. ويثقون بك.
- اسف.. جميعهم يتـ[illegible]ون من اجل قضايا عادلة و...
- أعــرف إنـــك مــرن و..
- لســـت خائنـــا..
- معذرة .. يبدو أننى اخطأت الاختيار..
- فـــرها كمـــا شئـــت..
- حذار ان تذكرنى عندهم، حتى لاتسبب لنفسك حرجا، ولذويك ايضا..
- ســوف يعرفــونك يومـــا..

....

....

- مبـــروك ياباشمهنـــدس
- الفضل لله.. ولك ياأبى.

تلوح لك.. تقذفه اليك.. تتلقفه فى لهفه.. تحاول أن تفتحه، تصرخ.. (أرجوك.. ليس لك)..

* نشر هذا الفصل فى جريدة الأهرام المسائى فى ١٩٩٣/٤/١١

يعضك الاسم النائم على الظرف.. السيد/ احمد افندى انور.. ربما كانت كلمات عزاء إليه.. تردد فى نفسك .. لكنها متأخرة جداً .. تبتسم لها على مضض.. سأوصله..

....

....

هزك المشهد الذى تراه، عندما وطأت قدماك للمرة الأولى داخل الحرم الجامعى.. جماعات كثيرة متفرقة، تملأ مساحة المكان الشاسعة..

يقف فى وسط كل جماعة.. زعيمها.. خطيبها.. يلقى كلماته.. نارية .. غاضبة.. زاعقة.. يخزنها فى وجدانه من صيف الايام الحارقة.. ومندوبو الصحف والمجلات يسجلون، يصورون.. ينقلون ماتقوله الجامعة (المحرك السياسى للأحزاب وللجماعات السياسية فى مصر).

وتنزوى فى مكان قصى.. ترقبهم.. تحاول أن تستوعب مايدور حولك .. لاتحس به عندما جلس بجوارك..

- أراك مذهـــولا.. جديـــد؟
- نعم.. إلى هذا الحد يتحكم الطلبة فى الشارع السياسى؟
- .. واكثر من ذلك .. إن رئيس الوزراء يجتمع بهم خلال اشهر الصيف.. يشاورهم فى امور الحكومة.. يكسب ودهم وتأييدهم قبل وزرائه.. يحسب لهم.. وأنت. إلى اى الاحزاب او الجماعات تنتمى؟

- .. لاأنتمـــي حتـــى الآن..
- دعنـــي اصافحــك، لرجاحة عقلــك.. يسمونهــا: اللعبــة القــذرة (درتـــي جيـــم)
- أسمـــــي عبـــاس..
- وانـــا.. إبراهيـم العكرمـي..

....

....

٣ - الاسئلـــــة

جئتنى فى الزمن الصعب.. تحمل فى صدرك.. ميلادك الجديد، تحاورنى فى اختيار الطريق.. تتخبط فى التجربة.. والمراهقة بحر عميق..

عدت تمزج الخيال بالواقع، تصنع أحلام يقظتك.. تحب (نادية)... يشتتك الخجل والقلق دون مبرر.. فتدفن احزانك فى نفسك المرهفة.. وتستثمر ذكاءك الوافد لتحصل من العلم مايرفع شأنك..

«اخبرنى .. ماذا كان من امر الرسالة التى حملتها من (نادية) الى (أحمد انور) فلم يسعفنى عقدى للمتابعة؟ ولماذا قبلنى عندما قرأها؟..»

كانت تخبره بأن شخصا جاء لخطبتها، وعليه ان يتقدم سريعا إن كان يريدها..

«خانانى مرة اخرى؟» بل احباك لفعلتك التى جمعتهما.. حفظاها.. لك، وعادا يغمرانك بدفئهما وحنانهما، عندما دب الجفاف فى ايامك.

«انا زوجتها.. ولد خايب صحيح» .. لاتظلم نفسك كانا يتحابان .. يلتقيان.. ذهب ابوك لابيها.. طلبها له «أرجوك.. لاتكمل.. أريد أن اصرخ»..

أرجوك انت لاتقاطعنى.. دعنى أواصل ماكان منك.. دائماً تلهث وراء المرموقين والمميزين.. تبحث عن ملمح لشخصيتك ومستقراً لنفسيتك المهترئة..

كنت رياضياً رائعاً وراء (خليل).. ليتك أكملت المشوار الذى بدأته معه.. لكنك هربت عند أول منعطف..تحمل مراهقتك خلف (مرسى) تلهو.. تعبث.. تتعثر فى واقعة فتاة (كامب شيزار).. يردك الفزع الى (جامد) تبحث عن مكان يحتويك.. تريد دوراً فى واقعك المغترب فيه.. و(العكرمى) فى طريقة اليك «كنت فى محاولة لاثبات الذات.. أقلدهم حينا.. وآتى بسلوك مغاير حينا آخر. باحثا عن عالم جديد، يضمنى، انتمى إليه.. لاأحس فيه بالغربة.. يعصمنى من القلق المستمر على الحاضر والمستقبل»:.

- وشعبان .. أين شعبان فى عقدك؟
- تجنبته كما أوصتنى أمى.. أنسيت .. علقة (الحصالة)

«واين رابطة الدم.. والغرز الثلاث فوق الرسغ الايمن؟» اسكت ايها الطفل .. لاتقاطعنا.. لاتشتتنا.. دعنا للاسئلة.. «هل أصبت عندما اخترت لك الهندسة طريقا؟» لاأعرف بالرغم من رحلتى الطويلة معها.. لكنها هدتنى.. «وهل فعلها (حسن مرسى)؟» أطمئن .. لقد دفن سرك فى صدره، ولم يذكرك فى مذكراته المجنونة التى نشرها منذ سنوات.. وتم تصويرها فى مسلسل تليفزيونى.. «مامعنى تليفزيونى؟».. لاتسبق الاحداث.. على انى لاأعرف من مكانى الآن إن كنت ألتمس لك بعض العذر.. أم لا.. فى قلقك.. خوفك.. جبنك.. ترددك.. فلقد جاء ميلادك الجديد فى ايام الغضب والدم والنار فى عقد لم تشهد البلاد مثله فى تاريخها الحديث..

فالأربعينات وعاء كبير، يحتوى على كل الصراعات الطاحنة (١) والولادات الجديدة للمذاهب والجماعات (٢) .. والاغتيالات الواسعة (٣) ....و ... وانت قابع فى غرفتك، ترقب فتاتك..

أننى أحادثك من زمنى البعيد عنك، حيث اندثرت اصواتهم العالية الزاعقة والكل اموات.. والسؤال التائه.. مازال يطرح نفسه.. من قتل من؟ ولماذا؟.

والذين يعرفون.. صامتون.. لايتكلمون.. بالرغم من الكتب الكثيرة التى تملأ أرصفة أيامنا..

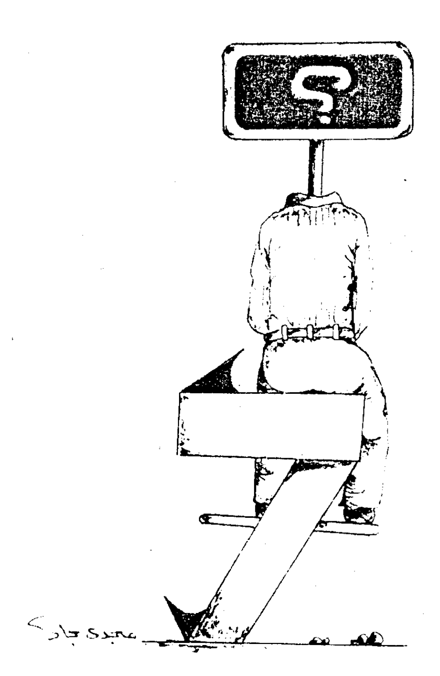
«من أين لك كل تلك المعرفة؟. هى الأيام ياعباس والتاريخ يعيد بعضا من صفحاته فى حضورنا.. لقد ذهبنا الى فلسطين مرة اخرى.. «والانجليز.. والاحزاب والملك؟» تغيرت خريطة أيامك فى واقعنا الذى عشناه بعدك، على أنه ظهرت صراعات اخرى.. ارهقتنا من جديد.. آه.. ياعباس.. من عقدك المشخن بالهموم والدم..

---

١ - المثلث الحاكم.. السلطة.. السرايا.. القصر.. ومشتقاتهم: البوليس السياسى.. الحرس الحديدى الاول.. والثانى.. ثم الطلبة ودورهم فى الشارع السياسى و الكباريهات والدعارة..الخ.

٢ - كانت قوة الأخوان المسلمين قد ظهرت على الساحة الشعبية كقوة هائلة بعد إقالة وزارة النحاس فى اكتوبر ١٩٤٤ وكان ظهورها فجاة.. وقد بدأ ظهور الشيوعيين علي الساحة السياسية بعد الحرب العالمية الثانية...

٣ - من إغتيالات عقد الاربعينيات.. احمد ماهر.. امين عثمان.. احمد حسنين .. النقراشي.. سليم زكي.. حسن البنا.. و... وغيرهم.



عباس الثالث

١٩٥١

- فرحنا لإلغاء المعاهدة فى ٨ اكتوبر

- قالت أمى: نفســى أفــرح بــك....

١٩٥٢

- حمل الشباب غضبه الى القناة .. يفجر بركانه هناك.. يزلزل المعسكرات.. فى القرين.. فى التل .. وفى يوم ميلاد ولى العهد احمد فؤاد (١٦ يناير).. اكتشفت (هانم)..

- ٢٥ يناير.. رجال البوليس فى الاسماعيلية يقاومون.. ويستشهدون.. وأمى تصب سخطها وغضبها على أبى..

- ٢٦ يناير.. الحريق الكبير يبلغ كل الأسباب الكريهه فى القاهرة.. الغضب فى صدر أمى يملأ البيت نارا، والسؤال السابح فى سحابات الدخان.. من فعلها؟
  - (٢٣-٢٦) يوليـــــو

    أرفـع رأسـك ياأخـى

    كنت فى صمتك مرغم.. كنت فى..
  - طــردوا الملــك ياأمـــى
  - كان فاسقاً يستحق الذبح.

١٩٥٤

- يناير.. القيادة تحل الجماعة.. ومصطفى حامد يبحث عنى..
- يونيه.. بكالوريوس فى الهندسة المدنية.. باقة ورد وبطاقة فى إنتظارى.. (سميحة).. أحبك..
- سبتمبر.. أغلقت الشقة.. أستلمت عملى بتفتيش الغربية.. أطالع مستقبلى فى احضان (السيد البدوى)..

١٩٥٦

- ٢٦ يوليـــــــو..

راح البنك الى بيساعد ويدى
قالـه حاســـــب..
- إيــه رأيــك يــا (عمــدة)؟
- ضربــة معلــم (ياجيمــس)

١٩٥٨

- يأتى الأخوة من الشمال.. يطلبون الرباط.. الوحدة.. لماذا لاتتزوج ياعباس؟

١ - اللقـــاء

سحبت نفسى.. عقداى فى أثرى.. (الأول والثانى) اتجهت مباشرة الى كورنيش البحر، ناحية المينا الشرقية، تجاوزتها الى مقهى (الكريستال).. أعرف إنها مقصده..يهرب من همومه، وحدته، خوفه، مشاكله.. يركن فوق هذا الكرسى.. يطالع البحر الواسع امامه..كم كان يحلم بأن ينقله الجان من جلسته هذه الى الجانب الآخر البعيد للبحر المتوسط.. بيريه .. نابولى.. مارسيليا.. يريد حياة أخرى..

- مـــن أنتـــم؟
- نحن.. أنت ياعباس..
- جئتم لتخلصونى أذن؟
- بـــل جئنـــا.

٢ - التكـــويـــــن

كفـاك حزنـا ياعبـاس.. أمسحهـا من رأسـك (قالهـا العكرمـى وهـو يهـدئ مـن روعـك)

- كنت احبها.. هو يعرف ذلك
- .. وهل كانت تحبك؟
- (....) ...
- الصمـــت أبلـــغ إجابـــة.

وصفعتك الكلمة.. نبهتك إلى الحقيقة الغائبة عنك.. لم تحاول أن نسأل نفسك يوما هذا السؤال.. عشت فى حلمك، ونمت فيه..

- سهل انت ياعباس..تنقلب فى شخصيتك.. أخاف عليك
- أفصح يأأخى.. أصدقنى القول .. فأنا مازلت أبحث عن هوية..
- .. لاحظت حرصك الدائم فى الانضمام الى الجماعة كلما جاء (مصطفى حامد) من كلية الحقوق، يخطب فيهم..
- رفيق دراستى برأس التين.. تأسرنى شخصيته.. أفكر كثيرا فى معتقداته.. ربما أنضم إليهم يوما..
- انصحـك.. لاتتـردد دائما عليهـم.. لاتـدون أسمـك فـى كشوفهم.. ولا.. لا.. لا.. فالبوليـس السياسـى يرصـدهم والحرص الحديـدى يتربـــص بهـــم..

أفزعتك الكلمات التى صبها (العكرمى).. تغسل رأسك..تفكر من جديد.. ماذا لو عــرف أبـــوك؟

....

....

ساءت أحوال أمك.. فرش المرضى شبكته العنكبوتيه على وجهها الناضر، أشتد سخطها وغضبها على أبيك.. ومأن تفطن إلى وجودك حتى تدفن أحزانها فى صدرها.. تضمك إليها.. تقبلك.. أريد أن أفرح بك.. تسرع إلى غرفتك، تغلقها خلفك، تطالع فراغ النافذة، تتأمل الجدران العالية.. تريد أن تصرخ.. تبكى.. تهدك الحيرة.. سجن هنا.. سجن فى صدرك.. والبلد سجن كبير.. تركن الى مكتبك.. تغفو فى هواجسك ..كوب الشاى أمامك، ينبهك إليها..

- أتــردد فــى الصبــاح علــى امــك.. أعاونها.. أطمئـن عليهـا.. هكــذا أوصتنــى أمــى..
- .. وترتيبــن أوراقـى.. وفراشـى.. لاحظــت ذلــك، ولم أفســره.
- نعم.. فرحـت لوجـودك هــذا الصباح.. تجـرأت.. أمــك نائمــة..

كانت تلك الكلمات كافية.. لضمها إلى صدرك، لم تقاوم.. أستسلمت لك.. ورحت معها فى غيبوبة.. (هانم)..

....

- لاحظت أيضاً تلك المحاولات الكريهة لهذا الشخص الذى يحاول التقرب منك والتودد إليك.. الزملاء يعرفونه.. يكرهونه.. أوقع بزملاء لهم من قبل.. يرتابون فى تردده على الكلية.. لاأرتاح لوجوده..
- أنا ايضا أكرهه.. اسمه (الأسود) .. يحلم أن اعاونه يوما..
- اطرده.. اضربه.. أحسم أمرك معه.. قبل أن يتلوث أسمك..

....

الغضـــب فـــى صـــدر أمـك يمـلاء البيـــت نـــارا.. لمـــاذا؟

- النار تملأ البلد.. وأنت أسير جدرانك العالية.. ماذا تنتظر؟ .. متى تتحرك؟
- أ أ أ .. أنـــــا؟
- لا تفأفىء ياعبـــاس..
- أقصـد.. أبى.. أمـى..
- لاتبرر ضعفك، كلنا نملك ظروفك، وأصعب منها.. لكننا نتحرك.. تعرف (عادل الأعسر).. زميلك فى المقعد المجاور..
- نعم.. إنطوائى.. ظروفه أصعب.. لاعائل له.. ومريض أيضا..
- لم يكن إنطوائيا.. بل كان يفكر فى مصر طول الوقت.. حتى ذهب معهم الى القناة..
- تقصـــد إنـه يعمل مع الفدائييـن؟

- كان بطلا.. أستشهد بالأمس.. ودعته الكلية فى غيابك المعتاد
- مـــاذا تقـــول.. مـــاذا؟
- لاتبك.. لاتنزعج.. فقط أنتبه الى واقعك.. وأثبت هويتك..

....

عزيـــزى عبـــاس..

تهرب منى الكلمات كلما إلتقينا.. أحبك.. أريدك أن تعرف هذه الحقيقة، وهذا يكفى .... المخلصة.. هانم....

- أعــــرف أنــــك..
- لاتحرجنى.. طلبت من (سميحة) صديقتى أن تتخير الألفاظ والمعانى.. حتى لايفضحنى أسلوبى عندك..
- الحب أحساس.. لايعرف القراءة ولا الكتابة..
- اخاف ياعباس .. العلم حاجز كبير..
- غيــــر صحيـــح..
- .. أحس بذلك كلما جلست الى (سميحة) .. ترتب الكلمات بطريقة لاأعرفها..
- لاعليك.. أمى تحبك.. وانا ايضا..
- أتمنـــى أن أكـــون لـــك..
- وأنا أريدك .. لامشكلة أذن؟
- .. خطيبــــــــى !!

....

ع الدوار .. ع الدوار. *

راديو بلدنا.. فيه أخبار.

....

الفرح يملؤك . تحرك مؤشر الراديو على جميع الموجات.. تتصيد الأخبار.. ترقص.. ترتدى ملابسك على عجل.. تريد أن تلحق بهم، تركب أفراحهم، وموكبهم الكبير الذى يطوف الشوارع فى طريقة الى (رأس التين).. الملك هناك.. أذبحوه .. يسقط .. تسقط.. عاش الجيش.. تحيا الثورة..

تعترضك عند الباب، تغلقه خلفها، تبتسم لك، تدغدغك همساً.. أمك نائمة..

....

....

وعلى الإله القوى الأعتماد.

بالنظام والعمل والاتحاد *

....

....

---

* أناشيد وأغانى كانت فى ميلاد الثورة.

- طـــردوا الملـــك ياأمـــى.
- كان فاسقاً يستحق الذبح..

تقول وهى تصوب تظراتها ناحية أبى، الذى يطأطئ رأسه الى الأرض، كأنه لم يسمع..

....

- عنـدك ســر أمـى.. أليس كذلك؟
- يتردد أبوك على جارتكم القديمة..
- يفعلهــا مــرة أخـــرى؟
- معه بعض العذر .. أمك مريضة..
- تبرريـــن مـــن خيانتـــه؟
- أبداً.. الرجل فى حاجة دائما الى أمرأة..
- سأواجــــه !!
- لاتفعل.. إنها تتحمل كثيراً حتى لاتشرخه عندك..
- مسكينـــة أمـــى..

....

- ألم أقل لك إنه خائن..
- تقصـــد؟
- نصحتك بالإبتعاد عن صحبته.. وسوف يتم تقديمه إلى محكمه الثورة لدوره القذر فى الإبلاغ عن الفدائيين..

- خيــراً فعلـــوا...

....

- فى الحب تزداد المرأة جراءة . ويزداد الرجل جبنا.
- جريئـــة أنـــت..
- بل واقعية .. خططت للقائك.. أخبرتها بحاجتى لك لشرح بعض الدروس التى لاأفهمها.. ومن قبل كنت قد سربت إليك بعضا من مشاعرى فى رسالتها..
- .. وتخونيـــن صديقتـــك؟
- مخطوبة هى.. ستتركك لغيرى.
- مــراهقـــة أنـــت.. لاتدركيـــن.
- أنا فى الثقافة الآن.. وعينى عليكما.. أنت.. والجامعة..
- مجنونـــــة !!
- نعم.. وأريدك لى..

....

تشدك القاهرة.. يبهرك سحرها، للمرة الأولى تزور العاصمة.. يصحبك (العكرمى) - يتردد كثيراً عليها- يطوف بك معالمها.. يأخذك إلى ميدان الأوبرا.. أثار الحريق الكبير، تلطخ بعض الواجهات، تذكر الناس بالفساد الأسود .. فيهللون.. ويهتفون لأبطال التحرير.. ينتظرون

مقدمهم.. يشيعون وورائهم الأمة جنازة الزعيم (١) للمرة الثانية من دار اللواء الى مدفنه الجديد..

جئتما من الاسكندرية مع المئات، لتشاركوا فى هذا الأحتفال المهيب الذى يتقدمه اللواء (محمد نجيب) والرئيس (جمال عبد الناصر) وباقى قادة الثورة .. ابى.. أمى.. عندما أعود.. سأحكى لكما...

....

....

شعبان.. خليل.. أحمد أنور.. مصطفى حامد.. أنكم لاتعرفون بعضكم.. أى كابوس أسود جمعكم لأستقبالى فى محطة مصر.. هزتنى (العفريته السوداء) مقطورة القطار الذى جاء بنا من القاهرة.. تلفظ سحبها الحزينة الكثيفة.. تملاء المكان تصرخ.. فأصرخ معها ... أاا..... أمى أ...

....

١- قررت حكومة الثورة تقديرا للزعيم الأول/ مصطفى كامل، الأحتفال بنقل رفاته من مدفنه الأول بحى الأمام الشافعى إلى ضريحة المقام فى ميدان صلاح الدين بالقرب من القلعة..وحددت لهذا الاحتفال يوم ١١ فبراير ١٩٥٣

- نفس اليوم الذى كانت تحتفل فيه البلاد بعيد الميلاد الملكى من قبل وهو ذكرى تشييع جنازة الزعيم لأول مرة سنة ١٩٠٨.

عاد (احمد أنــور) يتردد عليكما من جديد، بعد أن ساءت أحوال أبيك..

.. له منزله كبيرة فى قلبى.. أحبه.. وأحبك ياعباس.. لن أنسى وقفته معنا، بعد أن مات أبى.. حاول الكثير معهم حتى تمكن من تعيينى عند (هانو) .. جاهد.. كافح.. تحمل الكثير من أجل تدبير لوازمك.. وأسباب علاجها.. فأنت حلمه الدائم.. وهى (رحمها الله) رحلة عمره.. ماضيه كله.. أبداً لم يخنها.. أقسم لك.. كان أبوك قديسا.. نعم.. كان يهرب الى جارتكم القديمة.. يبثها همومه.. أوجاعه.. يرتاح لها.. (أبوك ايضا.. لاأخ له ولاأخت).. وأمك فى مرضها (لم تزل أمرأة) تصنع الكوابيس.. تنسج الأوهام.. لاتعرف إنها بؤرة الآمه وأحزانه.. يبكى مرضها.. وحده يتحمل .. لم يفصح لك.. يقتلك بالسر الذى يدفنه فى صدره..

- هل كان ينوى الزواج من أم شعبان؟
- أبـداً .. وأقسـم علـى ذلــك..

....

أبوك يذوب فى حزنه، الدموع شلال جارف لايتوقف .. قتلتها.. أمى .. أختى.. عشرة عمرى..

- أرحم نفسك .. أرحمنى ياأبى..
- سامحنـــى يــاولـــدى

السرادق الكبير.. يبتلع الجمع المتدفق من خلف الكواليس السحيقة.. كل لايخطئ مكانـــه.. فالأدوار محفوظـــة..

وتقف على ناصية الطابور.. ترتدى حلة الوقار السوداء.. عن يمينك.. (أحمد أنور).. العكرمى.. أبو (هانم).. خليل.. والأيادى الممدودة.. المشدودة.. تتشابك.. (البركة فيكم).. تتعانق (أولئك كان سعيهم مشكوراً).. وحدوه الدوام للــه..

وحدى.. أريد يداً تشد على جسمى.. فالرعد داخلى يزلزل الجدران.. يصدع أركان السرادق الكبير.. فأنكفئ على البساط الأخضر.. أفرغ أحزانى.. يتلقفنى (احمد أنور) .. أطالعه.. (خذلنى أبى.. ياأخى).. يضمنى الى صدره.. نبكى معاً..

....

شد حيلك ياعباس.. لم تعد صغيراً الآن.. أقترب دورك .. نحن فى إنتظارك... و ...و ...و.... وكلمات كثيرة رددوها همسا وهم يشدون على يدك يواسونك..

يجلسون حولك.. يفرشون محيط الدائرة السوداء التى تبلعك فى مركزها.. الأشعة الساقطة من عيونهم، تخترقك تكهرب أوصالك.. تصعقك.. تذكرك بسر العلاقة التى تربطك بكل منهم.. تمنيت لو ينفجر قلبك.. يشتت أشلاءهم.. يخلصك منهم جميعا..

- خذ حذرك ياعباس.. سوف يزورونك.. يسحبونك في ضعفك لتنفيذ أوامرهم دون تردد.
- .. لاشئ يستحق أن أعيش له.. الأحزان تملاء رئتى، بعد أن ودعتهما..
- ..هــذا مايريدونـــه بالضبـــط..
- قـــد لايأتـــون !!
- .. صحف الصباح تصرخ بقرار الحل (١).. بينما أنت قابع فى حجرتك.. معزولا.. تجتر أحزانك.. البكالوريوس على الأبواب.. وهم فى الطريق إليك.. لاتورط نفسك.. ولن أزيد..

....

....

- الموت حق.. ومادائم الا الله .. لقد جئت أطيب خاطرك، وأستأذنك.. الزفاف الخميس القادم.. لقد بكيناهما (اباك وامك) كثيراً.. والعريس ينتظر..
- .. الفرح فرحنا .. و(هانم) أختى .. مبروك ياعمى...

....

- سيتم تكليفك بعملية خاصة.. ستعرفها فى حينه إننا نفعل ذلك من أجل مصر.. ومن واجبك أن تطيع..

---

١ - صدر قرار مجلس الثورة فى يناير ١٩٥٤ بحل جماعه، الاخوان

للمرة الأولى يشدك الخوف. يملؤك الفزع..لماذا يريدونك خصماً للرجال الذين حرروا البلاد من فسادها؟ كدت تصرخ فى وجهه.. لاأستطيع.. لن أفعل.. لكن عينيه تأمرك أن تنظر الى اسفل..

يتركك (مصطفى حامد).. تسبح فى ذهولك .. تخرف حينا.. وتثرثر حينا.. تمالكت أعصابك.. نزلت الى الشارع بعد أن غادر منزلك.. رحت تتخبط فى خطواتك.. تائها كنت.. الخطر يحف بك، والناس ينظرون إليك.. يتراهنون على جنونك.. كدت تشى بهم عند البوليس.. لن يتركوك.. ألجمك الخوف مرة اخرى.. ليتنى عدتُ الى نصيحتك يا (عكرمى) !!

....

....

ركلت أحزانك جانبا.. رسمت الحلم فوق أوراقك.. دفنت رأسك فى الكتب المفتوحة أمامك.. تنهل من بحرها.. تدرس رموزها.. طلقوسها.. أسرارها.. يعاونك (مالشج، ترزاجى، برنولى، مندليف)... .. ترسم المعادلات.. تهندس الحلول.. تخطط المشروع.. و.. و.. (مبروك ياباشمهندس)

تجدها مكتوبة على البطاقة الرقيقة فوق باقة الورد الصغيرة، المعلقة فى إنتظارك على مدخل شقتك.. (سميحة)..تمنيت لو تحضر إليك.. تضمها فى احضانك.. تصب

فـوق وجناتهـا كـل أفراحـك.. ترقـص..تغنـى ..تهلـل.. تفـرح.. وحـدك.. تتلفـت حـولك داخـل الشقـة.. تفتقـد غيابهمـا.. تبكـى..

....

فرحت كثيرا لخطاب التعيين.. آثرت ألا تخبر أحدا من رفاقك حتى لايتسرب العنوان إليهم.. يطاردونك من جديد.. يورطونك معهم.. أغلقت الشقة خلفك..

وفى طريقك الى (طنطا)، تمسح دمعة ممزوجة بأنفاس اليود.. تودع فيها كل ذكرياتك القديمة.. (سميحة) .. أين أنت؟ .. أحبك .. أريدك شريكة لحلمى .. هل تسمعين؟

....

....

(طنطا) ... ياطيبة.. جئتك يركبنى الرعب.. أتوجس خيفة من كل شئ.. أخاف الكلام بصوت عال وكتابة الخطابات، واتخاذ الأصدقاء وقراءة الكتب، والتدخل فى شئون الغير.. و .. أعزل نفسى فى حضنك.. أقسم الا أدس أنفى فى أى من أمور الأدب.. الفن.. التاريخ.. أو السياسة.. أو حتى الجغرافيا.. الهندسة، فقط هى كل المستقبل..

....

....

هزك المبنى الضخم، توجهت مباشرة الى السلم.. الدور الاول.. الطرقة اليمين.. ثانى مكتب..هكذا أخبرك أول من سألته، وذاك ما قالته اللافته النحاسية.. مساعد مدير الاعمال.. طرقت الباب.. (أدخل ياسيدى).. أصبحت فى منتصف الغرفة.. يحاصرك مكتبان ضخمان لم تعهدهما من قبل، خلف كل منهما يجلس مهندس، كما تقول اللافتات النحاسية المصوبة نحوك.. احدهما بدين والآخر نحيف.. لم يعرك أى منهما التفاتا.. وصلك صوت احدهما.. لاتدركه..

- تفضـــل.. أى خدمــــات؟
- .. أنا.. أنا المهندس الجديد..

قفز الأثنان فرحا.. أتجها ناحيتك.. يضمانك بكل الود واللهفة..

- مرحبـا أيهـا الزميـــل
- أنتظـرنــاك طويــلا..
- .. أنت معى.. بأذن الله (قال البدين)
- .. بل معى.. (قال النحيف محتجا)

كــادا يتشاجـــران.. أنفجـــر (البديـــن) ضاحكـــا..

- ياعم.. نقسمه نصفين.. أنت النصف.. وأنا النصف..
- طول عمرك واخد الدنيا هزار (قال النحيف فى غضب)

كان لتلك الكلمة سحرها فى نفسك.. نبهتك الى شخصية (البدين) التى تبحث عنها، لتمسح العذابات عن كاهل أيامك.. فالجدية التى يتحرك فيها (النحيف) لاتناسبك.. ترعبك..

- أقعد يا(جيمس).. سأطلب لك شايا.. طربت فى نفسك لتلك المداعبة التى جاءت سريعة بلا مقدمات، خلت فى البداية إنه قال يا(عبس) كما كان يدللك ويناديك بعض المقربين إليك..
- لكن سيادتك .. كيف عرفت أسمى؟
- .. بنطلونك الضيق (المحزق).. حزامك العريض تحت الوسط.. قميصك (المشمر) إلى أعلى ذراعيك.. ثم . البف . إنك أول (جيمس) فى ريئا العظيم؟؟ تلعثمت بعد انت انتبهت الى مايرمى إليه:
- أسمـــى (عبـــاس) .. إسكندرانـــى.. دفعـــة..
- (عبس).. (جيمس).. ماتفرقش.. ضحك كثيرا وهو ينصرف ناحية الباب..

....

ثقيلة .. ثقيلة تلك اللحظات التى غاب فيها المهندس (محمد فتحى) فقد أنفرد بك المهندس (عادل زخارى).. ليلقنك درسا حديديا جافا.. وكيف أن مظهرك لن يجلب احترام الفلاحين.. و.. و.. ومواعظ كثيرة.. حكم وأمثال .. صدعك.. ألتقطت انفاسك فى عودة المهندس (فتحى)، يحمل كوب الشاى مبتسماً..

- خلاص يا(جيمس).. أنت معى.. الوكيل وافق..
- ... أذن فعلتها! (قال المهندس (زخارى) فى غيظ)

....

أستراحة الرى.. تقول اللافته فوق القضبان الحديدية التى تسور الفيلا القديمة ذات الأشجار الكثيفة..

تبلعنى الغرفة الكبيرة.. وحدى.. أسكن المكان، يحرسنى عم (خليفة) ضمن عهدته، يقوم بخدمتى أحيانا.. يرصد تحركاتى..

سجن جديد يحتوينى .. أختنق.. أهرب للشارع الكبير.. أبدد وحشتى.. أجوب الطرقات، شارد الذهن.. مفكك الحواس.. أتفرس الوجوه التى أصادفها.. أحسدها.. ستعود جميعا لتنام وسط الأهل، قريرة العين.. وحدى.. أعود الى غربتى.. يتفرسنى الليل..

....

عدت تتطلع خلسة إلى تلك الصور التى تدفنها فى حقيبتك بين طيات ملابسك بعيدا عن عين عم (خليفة)، حتى لايفضحك عند أولئك الذين سيشغلون الغرفة بعدك، كما فضح إليك أخبار من شغلها قبلك..

هارلين هورو.. الأنثى مائة فى المائة..
مارجحت ماردو.. الفتاة التى تدفع من يراها الى التفكير فى اشياء غريبة..

جيمـــس ديـــن.. نجمك الحلم الذى تتمثله.. تدسه بينهما.. تتمنى لو يضاجعهما معا على مرأى منك.. تذهب برأسك المجنون الى فراشك تدفنه الوسادة.. تنام معك (فتاة كامب شيزار) .. (هانم)، وكل فاتنات السينما.

....

- ماذا كان أول شئ وقع عليه بصرك صباح اليوم؟
- عم (خليفة) وهو يغنى..
- .. يالــه مــن فـــأل !!

....

بالرغم من إنك من أولئك الذى يشعرون بالحاجة الى العمل فى لحظات الألم النفسى، الا انك سئمت احتباسك فى غرفة المهندسين الواسعة.. وحيداً إلى درجة اليأس.. الوقت يطن فى رأسك.. يمزق أعصابك، الأيام تمر تباعا.. وأنت جالس على مكتبك.. حولك أربعة مكاتب خالية.. تنتظر من يشغلها، وتنتظر معها من يسلى وحدتك.. يخرجك من العمل الروتينى الذى لايتغير..

- أنت انسان محظوظ.. بل أسعدنا حظا.. لاأطفال، ولازوجة.. لهذا تنعم بالسعادة.

- بل أتعس إنسان.. لاأهل لى..

- مــــاذا تعنـــى؟

جرأتك طيبتة، حكيت له ماكان فى رحلتك، تأثر كثيرا .. ربت على كتفك:

- ولايهمك يا(عبس) .. أقصد.. (ياجيمس).. بكرة تتزوج، ويبقى عندك أولاد وأخوات وأهل.. وناس .. الدنيا يوم كده، ويوم كده.. لاتدوم على حال..
- نعم.. كم أحلم بهذا اليوم
- ياسيـدى .. بكــرة تزهـق..

....

أشتريـت (ساعـة) جديـدة مــن أول راتـب تقاضيتـه مـن الـرى

....

- ماذا كان أول شئ وقع عليه بصرك صباح اليوم.؟
- .. صورة (أمى) على الحائط..
- .. فـأل طيـب بـأذن اللـــه..

....

- .. الآن يمكنك أن تودع المكتب الذى يختقك كما تقول
- .. عملية انشاء ترعة (أشمون) الجديدة؟

- نعم .. سأذهب معك لتسليم مواقع العمل للمقاولين.. أنت المسئول عن التنفيذ.. سأكون الى جوارك حتى تقف على الأرض الصلبة.. وحدك..
- .. يشـــرفنـــى ذلـــك..

....

....

أبى.. أمى.. ليتكما كنتما معى، لتريا حلمكما .. سيارة الحكومة الضخمة (طراز فورد) .. تنتظرنى فى ميلاد الخيط الأبيض.. تحملنى فى صحبة (العمدة) .. نركب الخطوط التى رسمتها فى خرائطى الصغيرة ذات يوم.. تعانقنا نسمات الصباح النقية وضحكة الشمس تفرش البساط الأخضر حولنا (الله.. يارائحة الفجر)..

- صباح الخير ياعمدة..
- صباح الخير يا جيمس)..

سألتـــه ذات مـــرة..

- لماذا ينادونك بالعمدة؟
- .. كنت الوريث الوحيد لأبى رحمة الله.. وكان عمدة قريتنا .. هربت الى طنطا.. وتركت المنصب لأبن عمى.. ولكنهم هناك لاينسون ذلك..
- .. لكن من أول من ناداك به؟

- .. أبن عمى نفسه.. تقديرا وعرفانا، ولقد أحببت اللقب فى نفسى.
- .. لكن لقب (جيمس) يفزعنى..
- .. لاعليك.. على فكرة.. أنتحر (جيمس دين) بالأمس..

....

....

أحببت أعمال الغيط بالرغم من مشقة السفر كل يوم .. ثلاث ساعات فى رحلة الذهاب ومثلها فى العودة، أو قد تزيد إذا داهمكما الظلام أو الشتاء..

لم تحس بالكيلومترات العشرة- التى تقطعها مشيا كل يوم فى الحقول، لتفقد أحوال العمل، ومسار الترعة الجديدة - الا عندما تركن إلى فراشك، بعد أن تلتهم - بدون نفس - ماجهزه لك (عم خليفة) من أكل .. تتجنب عينيه الغبية التى تطاردك، والحاحة الفضولى المقزز..

- ماذا كان فى يومك ياسيدى المهندس؟
- لن تفلح فى أستدراجى يارجل .. فقد جئت إلى أيامكم والصمت دستورى.

تطرده فى ردك الحاسم.. تغتال تطفله، لكن ابدأ لم ييأس.. يسألك كل يوم .. يعرف ..نفس الاجابة لنفس السؤال..

فقط يحسب للحظة تنزل فيها إليه.. لكنك تهزمه فى كل مرة.. تسحب راسك.. تدفنها تحت وسادتك.. تجتر ماكان فى يومك .. وتحلم..

....

الكرنفال فى الغيط يمتص حبات الملح من الأبدان المنهوكة.. يتبخر كل التعب تحت الأبتسامات الصغيرة والكبيرة.. والغمزات واللمسات البريئة، الخبيثة..

سلاطة بشرية تسمى (الترحيلة).. تضم فى احشائها اطفالا فى المهد مازالوا .. وكهولا ربما جاءوا فى رحلة وداعهم الأخيرة.. وبين الشطرين.. يتصارع الربيع والخريف..

على أن مايجذبنى ويشدنى إليه دون غيره، تلك النهود النابتة على الصدور الصارخة المتفتحة، الناضجة قبل موسم النمو..

(آه .. لو يعرف الناس معنى الجفاف، لأحترقوا فى أماكنهم مثلى) كنت اختلس نظرة من هنا، وأخرى من هناك.. اجمعها ليدفئنا فراشى ليلا، عندما أجترهما فى رأسى.. أمزجهما بخيالى.. ننام معا..

تتسمر (العدسة الشينية) فى ميزان كوك الأسود القديم فوق النهدين المنفجرين.. ترصدهما بوضوح من خلال الشق الأصفر الذى يحبسهما.. وتلتصق (العينية) بعيونى الجوعي.. تجذبها نبضات قلبى الملهوفة،

المفزوعة.. يدغدغنى احساس لذيذ.. يغرينى بتحريك الميزان.. أرصد باقى التضاريس.. ترفع فوق رأسها قصعة الخرسانة..

ومـاذا بعـد ياعبـاس؟

تعجب [illegible] الأنفار فى [illegible] لوقوفى إلى جواره فى نهاية اليوم وهو يوزع قروشه على أنظاره، لم يعتد ذلك منى من قبل .. لكنه فهم فى نظرة خبيثة مدربة عندما تقدمت منه صاحبة الجلباب الأصفر.. فضحتنى لهفتى الجوعى:

- البنت دى اشتغلت كويس.. زودها النهاردة يامعلم خضر
- أمرك ياباشمهندس.. طول عمرها شاطرة.. كل اللى شافوها قالوا كده.. أجرى يابنت يا(فتحية).. حبى على يد الباشا..

سحبت يدى بسرعة، وهى تلقى بجسدها فوقها.. خفت من نبرات صوته، وعيونهم المصوبة نحوى استغفر الله.

....

....

خفـت أن تفضحنـى نظراتـى الجائعـة عندهـم.

ذات يوم فى طريق عودتنا مبكرا، اشتريت نظارة سوداء

- لمـــاذا ياجيمـــس؟
- شمس الظهيرة، تأكل عينى ..
- معـــك حـــق..

رحت أنهل من نضج الرجل الأجتماعى، الثقافى، السياسى ونحن نقطع الطريق الى المشروع الجديد فى رحلة الذهاب والعودة

....

«قال قائل منهم لاتقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب، يلتقطه بعض السيّارة إن كنتم فاعلين».

أستأذن (عم خليفة) - بعد أن جهز لى المائدة- للأفطار عند أقاربه.. تركنى لصوت الشيخ (محمد رفعت) الرخيم..

وحدى .. انتظر المدفع .. أصوم ..أفطر .. والناس يبدرون الانس والاغنيات فى الليالى الجميلة.. أهلا رمضان

"ورحـــت ياشعبـــان
جيـــت يارمضـــان "

تحسست موضع الغرز الثلاث فوق رسغى الأيمن .. تذكرته أين رحت يا(شعبان) من أيامى؟ .. ليتك تأتى.. تلتقطنى من بئر وحدتى .. تضمنى الى جمعكم الطيب فى أيامنا الخضراء..

....

حرصت فى زيارتى الخاطفة للثغر على الذهاب الى (النفق الجديد) بعد أن قرأت اخباره فى الجرائد التى كانت تصلنى بالصدفة..

ركبت (السلم الكهربائى) ناحية شارع سعد زغلول ..نزلت الى جوف المكان النظيف تحت الأرض.. يرفعنى (السلم الآخر) إلى ميدان محطة الرمل.. كل شئ جميل حولى.

أغرانى الحدث الكبير بمواصلة السير حتى باب الجمرك للوقوف على شارع النصر الجديد الذى سمعت عنه..

شدنى الذهول.. متى تم ذلك؟ وأين راحت الأسواق القديمة التى كنت أتردد عليها.. سوق الكانتو.. سوق المنقعى .. سوق العقادين قال عجوز سألته:

- تحت الأسفلت .. بلعهم العمران ياولدى..

....

....

(ياهذه الدنيا أطلى وأسمعى ....

جيش الأعادى جاء يبغى مصرعى..)

أصبحت مهندساً مقيما بمكتب المهندسين. بعد أن تحول الى غرفة عمليات لاأغادره.. انتظر بجوار التليفون لتلقى الإشارات عن أى محاولات تخريبية للعدو لقطع مصادر المياه لإثارة الرعب والفزع فى قلوب المدنين..

للمـــرة الأولـــى فـــى حياتـــى ..أحـــس برجـولتـــى..

....

فعلها ثلاثتهم .. إيدن.. جى موليه.. بن جوريون ... لكن حذاء (خريشوف) فى مبنى الأمم المتحدة ينبه العالم الى خطورة الموقف..

- وأنت أيه رأيك في الموقف؟

- .. لـن تفلـح معـى يارجـل..

....

عدت للغيط فى الأفرول الذى احببته فيهرولون ناحيتك.. يشدون على يدك.. يهنئونك بالنصر..

يسألونك عن اخبار المعركة والمدينة الباسلة، بعد أن صنعوا منك أسطورة رددوها فى عقولهم وديارهم.. كان يحارب فى بورسعيد .. كان يحمى السدود والقناطر.. وكان ... وكان.. اسطورة رددوها فى حقولهم وديارهم.

جلست إليهم، تحكى ماكان من بطولة (جواد على حسنى).. وكيف تم اسره وتعذيبه.. حتى ترك لنا رسالة من دمه فوق جدران زنزانته..

- .. وهل كنت معه؟ (قال فلاح مباغتا)

- لاتحـرجونـــى يـاجماعـــــة..

....

لم أفرح كثيرا لتلك الصحبة التى كنت أنتظرها .. تملأ الاستراحة.. فالزملاء الجدد يثرثرون فى أمور أخافها اثناء العشاء الجماعى الذى يجهزه لنا عم (خليفة) وهو يرقبنا.. يسمع مايقال عن.. عزل (نجيب).. جيش التحرير.. الاتحاد القومى .. السلاح التشيكى.. نهرو.. تيتو.. سوكارنو.. الحياد الايجابى.. باندونج .. لومومبا .. خرشوف.. السد العالى.. سوريا.. والمواطن العربى الاول (شكرى القوتلى) فى طريقة للزعيم .. و.. القومية العربية

- لمــاذا لاتشتــرك معنــا؟
- .. أنا لاأفهم ماتفهمون..

....

- مبـــروك ياعمـــدة..
- عقبالـك يا(جيمـس)..
- سأفتقـد صحبتـك..
- .. لن نجد صعوبة فى التعامل معه.. لاحظت إنك مرن سهل التشكيل

ذبحنى هذا الأكتشاف الذى لم يغب عن فراسة الرجل، وأنا اهنئة بعد ترقيته الى (مدير أعمال).. ليتركنى للملاحظات التوجيهات.. النصائح التى لاتنتهى .. تحت رئاسة المهندس (زخارى)..

....

هدتنــي الأيــام .. طلبـــت أجازة ....الاسكنـدريـــة....

....

....

- سميحة .. هل تقبلينى؟
- اسفه .. فأحلامى اكبر من طموحك
- لكنـــــى .. احبــــك ..

تصفعنى .. تفضحنى من جديد، احمل هزيمتى.. اهرع الى مكانى المفضل، تغسلنى نسمات البحر الباردة..تردنى انفاس اليود.. أرتشف من كوب الشاى امامى، عم (سلامة) يتحرك فى خفة بالغة بين موائد المقهى، يلبى حاجات الزبائن... ويعود يهمس فى أذنى.

- خليها على الله يأستاذ ..مسيرها تفرج.
- الـوحـــــدة تقتلنـــى
- يارجل قوم أتمشى على البحر .. الدنيا حلوه .، وانت لسه شباب.. حرام عليك..

عملت بنصيحة الرجل، تركت مقهى (الكريستال) خلفى، ورحت أقطع الكورنيش طولا وعرضا..

أتفرس الوجوه كالعادة، حتى حطت قدماى امام ملهى (كوتة) .. الدخول.. ثلاثة قروش..

الكرنفال هنا عادى .. الناس مختلفون.. المساحة واسعة بينهم وبين ناس الغيط .. يصرخون، يهللون، وهم يتأرجحون على الألعاب المختلفة، تطير الشعر الأسود الفاحم.. والبقايا التى تستر الأجساد الغضة فى زحف المينى جيب والميكرو..

.. أيـــــه ياعبـــاس؟

أنت لم تعش بعد.. أنت هنا لست فى حاجة الى (كوك) وميزانه.. ترصد ماتريد.. لايحاسبك احدا.. ركبتك الفكرة المجنونة فى عقد.صلة عابرة مع أمراة تجهل عنها كل شئ حتى أسمها..

- أسمـــى عبـــاس..
- جــــرئ أنـــت..
- تأتــى معـــى؟
- تبـــدو شقيـــا..

(آه ياعبـــاس لـــو تعلـــم مايـــدور احيانـــا داخـــل رءوس النســـاء)..

....

الثورة تجتاحنى .. تنفجر فى كيانى أحاسيس شتى .. كرهت العودة الى الغيط.. قررت البقاء فى ثغرى الحبيب..

(سميحة).. سوف أعيش بدونك.. سأخرج من القوقعة التى اختبأت فيها زمنا كاد يأكلنى... ويأكلنى موضع الجرح القديم فى معصمى الأيمن.. (أهرش) فوق غرزه الثلاث.. آه يأخوة الدم..

....

- خالتـــــــى؟
- ماتـت أمـى مـن زمـن بعيـد
- آه ياخالتى ..... وأنت؟
- نعم.. أنـــا (فاطمـــــة)

وتسرع يملؤها الفرح الى فسحة الشقة .. تزغرد عيونها .. بعودتى .. تهلل..تناديهم من الغرف المجاورة.. يسرعون.. يتقدمون.. يسلمون على .. تعرفهم بى.. وتذكرنى بهم.

تتقدم فتاة صغيرة تحمل صينية ..عليها زجاجة (سينالكو) كبيرة .. طبق واسع مملؤ بالجوز.. اللوز ..عين الجمل.. أبو فروة- أتسمر لمرآها..

- تشبـــه (لـــوزة) يافاطـمة
- هى ابنتها.. اجرى يا (هند) الى احضان عمك..

أتلقف الصغيرة .. تقبلنى فى براءة وحنو غريب ..وعيونى الدهشة تطرح الأسئلة.

- نعم.. بنت أخيك (شعبان) .. سوف أحكى لك ماكان من أمرنا فى غيابك عنا.. وهذا .. وهذه .. وهذا
- .. آه يـــاعـائلتـــــى !!
- .. آه ياعباس..عندما يعود اخوك من (سوريا).. سيفرح كثيرا لعــودتــك
- ليس مثلى يا(فاطمة)... ليس مثلى..

....

....

....

٣ - الاسئلـــة

اما انت فقد ركبتنى فى زمن التدوير ... دارت رأس العالم بعد أن هدته الحرب.. فخرجت الفراخ الصغيرة، تائهة ..تبحث عن مكان فى الفراغ الواسع..

ويظهر (الضباط) فى أيامك يطاردون اسباب الفساد.. فتسقط تحت جنبك نجومك التقليدية التى كنت تمجدها، وتحسب لها كمثل أعلى تتمنى لو تحتذى به.. غدت تهرب من (مصطفى حامد) و(العكرمى) .. تنصرف عنهم. تفتش عن نبع جديد، دون ان تستعين بنصح أم أو إرشاد أب.. فقد كانا مشغولين عنك فى شجارهما الدائم.. حتى رحلا..

فعدت تسجن نفسك داخل قوقعتك التى أرتضيتها ملاذا أخيرا لك.. لقد أصاب (العمدة) حينما ناداك (بجيمس).. فأنت نسخة من شباب عقدك السابع فى فراغ (الخمسينات)، الذين لجأوا الى داخل انفسهم وأبوا الايزعجوا العالم أو يزعجهم العالم..

لذلك كان حريصاً أن يقرأ طالعك صباح كل يوم «ماذا كان أول شئ وقع عليه بصرك..؟ يستشف نبوءة أيامك قبل أن تهرب فى الانتحار، مثل رفيق حلمك..

....

«لقد فرحت لعودتك الى شعبان مرة اخرى»

«أسكت أيها الصغير.. لاتقاطعنا.. لماذا عدت الى شعبان»؟ مع أنى عقدت العزم فى عقدى أن اقطع كل صلتى بهم .. كما اوصتنى أمى»

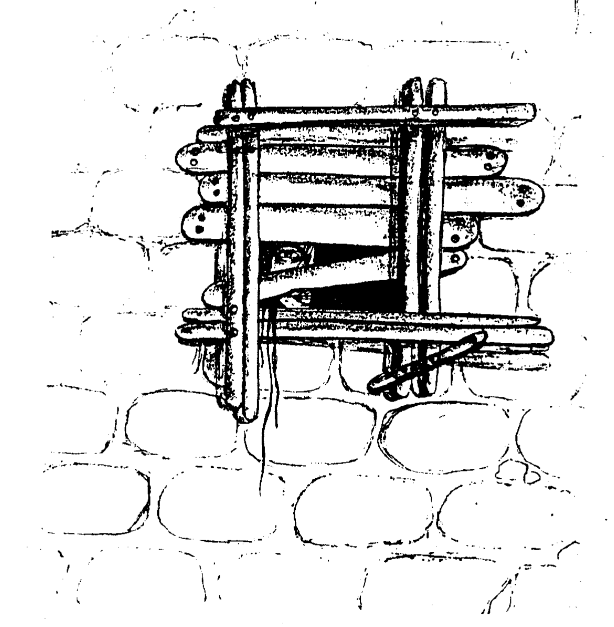
«وأقسم لكم.. أننى لم اقابلة فى عقدى سوى مرتين.. عندما جاء لمواساتى فى رحيل أمى وأبى.. ولم اقابلة فى زيارتى الأخيرة لأخته»

ثالثكما معذور.. بعد أن سقط فى دائرة الإرهاق، تحاصره تلك المشاكل التى تسلمها من عقديكما.. تحيط به الأزمات من كل جانب، حتى صرخ الطفل فى داخله.. يريد الاحتماء بحضن، يحميه من القلق، يمتص احزانه.. يسترد له افراحه.. ويعيد له الأحساس الضائع بالامان..

سوف اخرج من كابوسى المفزع ياعم (سلامة).. (الدنيا حلوة ياولدى).. أهلا ياغالى.. هذا ..وهذه .. و..

....

....



عبـــاس الرابـــع

١٩٥٩

◆ ربطنـى الى عالمه.. (قهوة النيل) ..و.. هذه (فاطمـة)

١٩٦٠

◆ تزوجت فى بدايتها .. وفى ايامها الأخيرة جاءنى (حامد) .. اصبحت أبا..

١٩٦١

◆ أعـان الله الحبيبة علـى امورهـا
بكرة تفرج يامعلم .. آه .. ونسميه (شعبان)..

١٩٦٢

◆ يـأكلنـى قلبـى عليـه.
- لاتخـف يارجـل.

١٩٦٤

◆ والمركب أهى رجعت ..سالمة بالسلامة.. وقف التجار .. ويبحثون على (الفص).. ويحسبون للغنائم الجديدة..

١٩٦٧

◆ نكسـة..

١٩٦٨

◆ كـل شـئ هـادى فـى ميـدان التحريـر..
لابيـع ولاشـراء

١ - اللقـــــاء

جاء صاحبنا إلى هذا المكان بالصدفة تحت ميعاد ضربه له (شعبان).، ظنه لقاء عابرا، لم يحسب انه سوف يعشق تلك الرقعة من الأرض.. تروقة .. يحيها.. تربطه الى تكوينه الممتد.. يشده إليها حنينا دافقا في كل مرة..

يهرب إلى موضعه الجديد المفضل على (قهوة النيل).. يرقب الميدان الواسع أمامه.. ترصد أذناه كل احاديث أصحاب المعاشات من خلفه.. «من الأحرى أن يسمونها .. مقبرة الأفيال»

يتأمل الميدان الواسع أمامه.. (المنشية).. عن يمينه الصرح الضخم الذى كان يربط قطن البلاد بإقتصاد العالم..

- أسمها (البورصة)* .. (هكذا أخبرتنى خالتى فى ايامى الخضراء).

بينما يقبع على بعد خطوات من مجلسه فى نفس الصف مبنى (الشهر العقارى) الضخم .. وعلى بعد خطوات بعيدة عن يساره فى الصف نفسه يرقد مبنى (الحقانية) الكبير.. لقد راقه التفسير الذى وصله ذات يوم من خلفه للعلاقة التى تربط بين رءوس هذا المثلث والمضاربات بين الأجانب والباشوات والسماسرة وغيرهم..

** انشئت سنة ١٨٧٦ فى عهد الخديوى إسماعيل .. ثم أصبحت مبنا الإتحاد القومى ثم الأتحاد الإشتراكى .. ثم .... ثم .... ازيلت .

كل واحد منهم بيجرى على (الشهر العقارى).. إما بائع أو مشترى وطبعا ده مرتبط بيومه فى (البورصة) من مكسب أو خسارة وإذا إحتدم الأمر بينهم واختلفوا .. (فالحقانية امامهم).

- ..... اهـلا ياعبـــاس ..
- ..... اهـلا ياعقـودى..

....

....

٢ - التكـــويـــن

(الحياة لعبة .. لانتعلمها من الكتبَ ولكن ونحن نلعبها) لاأذكر متى سكنت تلك المقولة فى رأسى .. لكن (شعبان) يعرف أصول كل الألعاب.. محترف هو.. يأسرنى من جديد.. يربطنى إلى عالمه.. يعلمنى ..يدربنى ..يفتح لى كتابه .. يطلعنى على الحلم النائم فى قلبه..

زغردت لنا الأيام وابتسمت، فالدخول بالبطاقة الشخصية.. لافرق هناك بين أبناء الأقليم الجنوبى، والاقليم الشمالى..

جمعت بعضاً من الصبية الذين يتسكعون على النواصى فى شارعنا القديم فى العطارين.. ضربتهم تحت أنظار ذويهم..

(اخوكم الكبير ..يعرف مصلحتكم).. (تعالوا ياصيع).. يهرعون خوفا.. إستخرجت لهم البطاقات الشخصية، وتصاريح السفر.. أصحبهم الى الميناء.. باب (١٠).. نركب العبارة والبحر.. تنقلنا إلى (اللاذقية).. تنزل هناك.. نقطع الأسواق السورية طولا وعرضا .. نجمع الجوز واللوز.. الحلويات الشامية.. المكسرات لتكسر الحرمان فى العيون الجوعى..

نطـــوف البـــلاد.. حلـــب ..حمـــاه .. دمشـــق..

(ومن الموسكى لسوق الحميدية

انا عارفة السكة لوحدية) *

ونعود نفرش بضائعنا فى ميدان (المنشية) بجوار (زنقة الستات) وإعترافا بما تعلمناه من فنون التجارة على ايدى أخواننا فى الشمال أبناء رحلة الشتاء والصيف.. نسمى سوقنا الجديد.. (سوق سوريا)...

نبدره بالمشغولات، والمطرزات، والحراير..يبهر العيون بالألوان المتداخلة والتى لم تعهدها من قبل.. نتصيد كل النسوة الملهوفة الخارجة من الزنقة..

....

- أخبرتنى (فاطمة)، بأنك لاتريد أن تذهب الى عملك فى (طنطا)..
- ... الغربة تملؤنى هناك .. لاأهل لى.. ولا..
- أعرف ..وماذا تنوى؟
- .. سأبحث عن عمل فى الإسكندرية.
- أذن دع الأمــــر لـــــى.
- .. هــــل تستطيـــــع؟
- .. كل رجال البلد الكبار أصحابى.. لايغرك المظهر.. لاتقلق..

....

* مـن أغانى الوحدة ... للمطربة صبـاح.

تعرف ياعباس أن نصيب الصايع (هكذا كان يروق له أن ينادى أىَ من صبيانه.. لايغضبون.. لايزعلون..يحملون له كل الحب ... يبتسمون)..بعد رحلة العودة مع تحمل التاجر لمصاريف السفر والأكل والنوم هناك... حوالى عشرة جنيهات.. واثنين كيلو تفاح.. وكيلو من جوز الهند المبشور .. أو زبيب أو أى من حلويات الشام.. وبعض قطع الملابس المستعملة ليفرح بها أهله.. لكن معظمهم يبيع تلك الاشياء، ليملأ جوفه بالخمر أو يبدد قروشه فى القمار، فالمكسب كبير ويغرى يفعل كل شئ..

- إن راتبـى سبعـة عشـرة جنيهـا..
- أعرف .. أعرف ياباشمهندس.. سأصحبك إلى المعلم (قدوره).. تحسب له وتكتب حتى أدبر أمرك..
- .. أنـا رهـن إشارتـك ياأخـى..

....

ركبك الرعب عندما اصطحبك المعلم (قدوره) ذات يوم الى باب (١٠) يتصيدهم لك.. لتحاورهم بالانجليزية أو الفرنسية..

غالبا ماكانوا بعضا من الخبراء او العاملين فى (السد العالى).. أو بعض من جنود البحرية الروس.. التشيك.. اليوغسلاف.. أجناس الناحية الشرقية..

لكن ..من أين اتته تلك الحاسه السحرية ليميز بين من يحمل بضاعته للمقايضة ومن يريد الشراء؟

....

....

عدت [illegible] (قدوره) على (قهوة النيل) عصر كل يوم ..تبدد قلقك فى متابعة حركة الترام، وتفرعها الى اماكن المدينة المختلفة.. كرموز.. محرم بك.. النزهة.. المكس.. الانفوشى .. والحركة فى الميدان التجارى الكبير لاتنقطع..

يأتى إليك.. يسلمك الأوراق النقدية.. مختلفة الجنسية.. دولارات .. أسترلينى.. دراخمة.. ليرات.. ريالات.. فرنكات.. روبلات

- .. هـذه (غلـة) اليـوم .. خذهـا إليهـم ..

تتحرك، والخوف يشد اقدامك إلى الأسفلت.. تحسب لعيونهم التى ترصد نجوم الظهر.. تسرع الى فاترينات الصيارفة (الباقية) التى تفرش رصيف الميدان بجانب القهوة.. تستبدل (الغلة) خلسة..

- آه.. فين زمن الصيارفة.. وأيام البورصة..

- ياعم خلصنى وبعدين أبكى على حالـك..

....

....

أغرتك لعبة أستبدال العملة .. عرفت كل المغاوير الصعبة فيها.. رحت تعمل لحسابك بعيدا عن عيونهم .. فالمكسب السهل السريع يغرى بفعل كل شئ..

....

- مارأيك فى شركة المقاولات الكبرى؟
- آخـر ماكنــت أحلــم بــــه.
- .. أذن.. أذهب أليهم غدا، ومعك أوراقك.. أنهم ينتظرونك..
- اخــى لاأعــرف مــاذا...؟
- لاتكمل ياعباس .. هذا واجبى نحوك.. وهل نسيت الجرح الغائر فى رسغك الأيمن، والغرز الثلاث؟

....

....

شدنــى الــدفء إلــى نــاس البيــت القديـــم..

ذهبت إليهم .. (شعبان) فى سوريا .. جلست معهم حول (الركبة)

- (لوزة) و (فاطمة) وبعض الجيران- نحتسى الشاى ونقضم حبات (أبو فروة) القادمة من الشام .. و .. و.. و(حب إيه.. اللى انت جاى تقول عليه).. أهتز للكلمات.. تصطدم عيونى بعيونها..تشاركنى الآهة.. تفهم..
- .. لمــاذا تسجــن نفســك؟

- .. الحـــظ يعـــاندنـــى.
- ..ألف واحدة تتمناك.. عيبك الوحيد إنك لاتنظر امامك، وتنتظر من الآخرين أن يصنعوا قراراك..
- .. مـــن أيـــن لـــك كـــل تلـــك الحكمـــة؟
- .. من احاديثهم عنك طيلة غيابك.. تعلقت بك قبل ان اراك ...
- تعنـــى؟
- نعم.. أحببت عباس الأسطورة.. الذى احبته أمى، وأحبه أخى من قبل ..

رأيت صورتك الصغيرة معه.. كنت أتساءل دوما.. كيف أصبح الأن؟

- تعرفـــى؟ لـــك بعض ملامـــح امـــى
- وعصبيتها أيضاً.. هكذا اخبرتنى (أمى) ذات يوم..
- ومـــاذا أيضـــا عنـــى؟
- تكبرنـــى بست سنوات فقـــط..

أعطتنى وردة (بلدى) حمراء .. أهتز لملمسها.. اهمس فى أذنها قبل أن انصرف.

- أريـــــدك يـــــا (فاطمـــة)..

تتسمر فى مكانها.. و (صحيت المواجع فيّه)..

....

أستدعانى رئيس مجلس الإدارة فور تعيينى لمقابلته شخصياً.. وحدد موعداً لذلك..

- أهلا ياباشمهندس.. التوصية عليك كبيرة.. أنت رجلنا الآن .. ونعقد عليك آمالا كثيرة..
- تحت أمرك يافندم..

....

لم أحسب لهذا الحشد الغفير الذى جاء يفرش شارعنا القديم.. ترابيزات الحشيش والبيرة والكونياك والعنب و.. و.. تحت سمع وبصر دورية الشرطة الليلية والمخبرين..

كل تجار السوق وصبيانهم يرقصون ويهللون مع الابواق الزاعقة التى ترج الحى بشدو (الشيخ أمين)..

(أنا أمسيكم بالخير ياورد على فل) .. ويتنطط (السيد حلال عليك) فى رقصته السكندرية الشهيرة (بالمطاوى)، رافعا كرسيا إلى أعلى بأسنانه.. لم تنم (العطارين) إكراما لشعبان أخى الذى تحمل كل نفقات العرس.. ومبروك ياعريس .. وعقبال (هند) يامعلم..

....

تغير سجنى أصبح مملكة بعد الفرش الجديد .. أحببته.. ففى البيت إمرأة..

....

مات (شولح) خرج حشد غفير من ابناء الحى، يودعونه فى جنازة مهيبة، يبكون أيامهم الحلوة معه..

يأمرنى (شعبان) بالوقوف الى جواره فى السرادق الكبير الذى اقامه.. نستقبل المعزبين.. (نحن أهله)..

ويجهز (شعبان) الغرفتين الخاليتين منذ صحيت (فاطمة) إلى بيتى بعد الزواج.. من اجل (عيشة) التى اصبحت بلاعائل يقول:

- هى ابنتنا .. ابداً لن نفرط فيها..

....

همست فى أذنى وهى تقبلنى ... انا حامل ...فرحت ...

....

عندما شعر (شعبان) بأحوالى المالية الضيقة.. طلب منى أن احسب له أرقام تجارته فى السوق بعد ظهر كل يوم ..ثم أتانى بالولد (إبراهيم الفص) ليساعدنى...

- أحسن الصيع عندى. فقط راقبه وحاسبه.. ده يسرق الكحل من العين
- ألا تخشاه؟
- .. أبوه واخوته ينامون على بضاعتى فى السوق.. كلهم صبيانى..

....

حاولت فى مرات كثيرة أن اسأله من أين له تلك التوصية الكبيرة التى تدثرنى بالإحترام والمهابة فى عيونهم..

– .. لاتشغل بالك.. سأخبرك يوما.. فقط أنتبه إلى مستقبلك.. أستمع أليهم..

....

– سميتــه (حامــد) على إسم أبـــى...
– حمد لله على سلامتك.. مبروك علينا .. (حامد)..

....

(لوزة) أختى و(شعبان) أخى يملآن بيتنا بالخيرات عند كل زيارة بعد عودتهما من (سوريا).. (هند) الصغيرة تتلقف (حامد) من أحضان أمه .. تلاعبه .. فى وجودهم يصبح بيتنا عيدا..

....

راح الولد (إبراهيم الفص).. يعمل لحسابك فى السوق.. دون علمهم كما أتفقتما.. إشتريت سكونه بالثمن الذى حدده لك.. (ناصح) لم يورطك فى اعمال خاسرة..

....

....

(أعان الله سوريا الحبيبة على امورها.. وسدد خطاها.. وبارك شعبها)*

خرج التجار بعد البيان، يتنهدون فى زفرات ساخنة.. صامتة خوفا من العيون التى تحسب عليهم الغمزة والهمسة..

يبكـون الانفصـال الـذى قطـع شرايين العـز وايـام الخيـر الواسعـة..

- البســـوق ماتـــت..
- بكرة تفرج يامعلم..
- آه.. موت ياحمار..

بقول فى مرارة وهو ينظر ناحية (لوكاندة الجمهورية) التى شهدت أيامهم الخضراء.. انشانها تاجران كبيران من تجار السوق لإستقبال اصدقاءهم التجار الوافدين من الشام، وباقى التجار القادمين من النجوع والكفور داخل المحافظات.. يقايضهم من داخل غرفته المحجوزة بأسمه، ويوزع صبيانه على الأدوار قبل ان ينزلوا الى الشارع للشراء أو للبيع..

- .... حتى (اللوكاندة) حالها وقـف..

....

---

* مـــن بيـــان الزعيـــم عن الانفصـــال..

تهمس في أذني:

- أريــــد بنتـــا..

- قلت لك.. اريد عائلة.

....

عدت أطوف معه فى المناسبات الكبيرة والصغيرة حول تلك البيوت العتيقة، النائمة فى حضن الزمن منذ أن كنا نهرع إليها.. يجمع الملاليم النحاسية الحمراء، والقروش البيضاء المخرومة من ذوية وأقاربه ..نهرب إلى السينما.. يطرق الأبواب.. أفتحى ياخالتى .. ياعمتى.. أفتح ياعمى.. يجزل لهم العطاء.. طيب أنت يا(شعبان)..

....

- مـن حقك أن تسميه هـذه المـــرة.

- (شعبان) .. على إسم أخى الذى بعثنى من جديد

....

سألت عم (إسماعيل) عندما جاء ليعمل معى بدلا من (إبراهيم) أبنه الذى تم ترحيله لليمن للوقوف إلى جانب إخوانه هناك..

- لماذا يسمونكم عائلة (الفص)؟

- لأننا فى الأزمات أو المصائب، تصبح كفص الملح الذى ذاب..

- لاحظت ذلك عند (إبراهيم) أبنك

- أشتاق إليه .. لاأخبار عنه.. يأكلنى قلبى عليه.
- .. هذه زوجتى .. هذان ولداى .. حامد وشعبان..
- .. ربنا يخلى ياأستاذ .. مش قلت لك: بكرة تفرج.

يقول عم (سلامة).. وهو يقبل أيادى الصغيرين، ثم ينصرف لأحضار المثلجات فى خفته المعهودة بين الترابيزات المصفوفة ناحية البحر..

- مكان جميل حقا (قالت فاطمة)
- أحببتــه دائمــا

طربت فى نفسى لأنها أحبت المكان الذى كنت أحلم فيه..

- قهوة الكريستال - حتى أصبح نزهتنا المفضلة.. نركن إليه بعض الوقت..ثم نتمشى على الكورنيش ـعملا بنصيحة عم (سلامة) القديمة- حتى السلسلة..

تظللنا أقواس (يوليو) المفرحة .. ننتظرها كل عام.. نذوب فى عائلات الإسكندرية والمصيفين الذين يفرشون البحر.. نهلل للزعيم فى غدوه ورواحه من قصر المنتزة الى قصر رأس التين.. وفى طريق عودتنا نعكف على ملهى (كوته) بالأزاريطه .. نختار بعض الألعاب الصغيرة.. ثم غرف المرايا.. الأراجوز.. فتاة الموتوسيكل.. صيد البط.. والكرنفال العارى يفضحنى..

- عينك حاتطلع ياباشمهندس (تقول وهى تلكزنى فى كتفى)
- أبـــدأ واللـــه .. أتفـــــرج.
- واضح إنك عارف السكه كويس..
- لاتظلمينـــــــى ..
- .. دعنا نخرج الآن قبل أن ينام الولدان.

....

....

وتأتى رحلة الإنتصار والعودة، بعد أخبار الدم والنار هناك.. فيخطف التجار شوقهم.. يركبون اللحظة الى (السويس) فى إنتظار من بقى من أبنائهم وصبيانهم فى عودة العائدين.. يستقبلونهم بالأحضان.. والقبلات والدموع..

[وياحبايب بالسلامة.. رحتم ورجعتو لنا بالسلامة]*..

ويهمســـون فـــى آذانهـــم.. معكـــم حاجــــة؟

....

السوق حزينة.. جاءت الأنباء، تنعى إلينا (إبراهيم الفص).. تذكرت فصاحته وأيامى معه.. كيف لم يفص من الموت؟ .. بكيت..

....

* من أغنيات اليمن.. عبد الحليم حافظ

التجار يخترعون الحيلة فى كل مرة.. يختلقون اسواقا جديدة، قبل أن يبلعهم الجفاف.. يسمونها فى كل مرة، بعد أن يرسلوا صبيانهم فى بعثات فى الأنحناء البعيدة لإكتشاف منابع الكنز البكر التى لم تكشف من قبل.. ثم يسرعون، ينهلون منها، ويرقصون ويهللون، ويبدلون فى إسم سوقهم ليحمل إسم المنبع الجديد.. يهرع إليه الزبائن مرة اخرى..

تعود الكشافة من صبية السوق.. وجدناها.. وجدناها.. (غزة).. أذن هنيئاً لكم.. (سوق غزة) يانساء الزنقة.

وكيف كان ذلك؟

هناك عند الطرف البعيد من الساحل الشمالى الشرقى، بالقرب من خط الهدنة الفاصل بيننا وبين عصابات صهيون.. يرقد إخواننا فى عراء الزمن.. يرقبون الأرض والديار التى تدنسها أقدام الغزاة .. يصرخون:

[عايزين .. عايزين .. ياأمل ملايين

العودة .. العودة لأرضينا] *

نذهب إليهم.. نقايضهم على ماتقدمه لهم وكالات الغوث من إعانات.. مأكولات.. ملبوسات.. واللاجئون لاتخدعهم مسكنات العالم حولهم.. يجترون احزانهم فى صبر.. يزرعون الأمل .. يريدون الأرض .. والأرض..

* من أغنيات الستينيات .. عبد الحليم حافظ

قال تاجر فى السوق لزميلة :

- ربك كبير.. يقطع من هنا..ويوصل هنا.. وتمتلئ (لوكاندة الجمهورية) من جديد بأبناء غزة، وعرب سيناء الذين يأتون إلى عروس البحر المتوسط للتجارة والاستجمام والافراح.. و.. ومآرب أخرى..

....

....

الشركة تمتلك ناصية الأمور فى مشروعات (المعمورة) الجديدة.. ربطت نفسى إلى الكرنفال الجديد الذى يفرشه علية القوم فى زماننا.. رجال الدولة الجدد، كبار الفنانين.. يعرفوننى الآن ويطلبون خدماتى..

حجزت شقة بأسمى حتى أجاورهم، بعد أن أصبحت وكيلا للأدارة الهندسية بالشركة.. كل المشروعات والتصميمات تنتظر توقيعى .. عباس..

....

- احتاج أمانتك ونزاهتك التى اعرفها عنك.. ليتك تمسك حساباتى ودفاترى.. (الحرامية) يأكلونى..

أعتذرت له بطريقة لاتخدشه.. فقد أصبح الآن من اكبر تجار السوق.. يملك أربعة مداخل تحمل إسم (محلات الفص).. إشتراها بعد أن كرمته الدولة بإعتباره أبا الشهيد..

أجابته الى سؤاله واحلامه التى كتبها فى طلبه ثم قدمها الى الزعيم، وهو يشد على يديه فى حفل تكريم الشهداء ومنح الأوسمة لذويهم..

- .. كنت أعرف أن صلاح احوالنا سوف يبدأ من عنده لم احسب ان الخير سيأتى مغموسا بدمه.. ليته معنا الآن!!

يذرف دمعه، يكثر من الدعاء بالرحمة لابنه الذى لولاه ماأستطاع أن يكمل المسيرة.. يصبح تاجرا بين التجار، ويحصل على كل تلك الأمتيازات هو وأبناؤه فى المسكن.. التعليم.. صرف المواد التموينية ....و....و...

- كان بيحبك ياعباس ياأخويا..
(يترك لى كلمته.. وينصرف).

....

كتبت إلى (العمدة) فى طنطا بعد أن جهزت شقة المصيف بالمعمورة- أدعوه وعائلته لقضاء الصيف فى ضيافتى..

- خيراً فعلت يا(جيمس) عندما تركت لرى.. كم تمنيت أن أهرب مثلك.. لكنى مربوط إلى قدرى هناك كما تعرف..
- .. انت كبير فى كل مكان وفى الصدور ياعمدة..
- .. على فكرة ماذا كان أول شئ وقع عليه بصرك يوم تعيينك بالشركة؟
- .. (شعبـــان) أخـــى.
- .. يـــالـه مـــــن أخ.

....

....

....

[بلـدى أحببتك يابلدى.. حبا فى الله وللأبـد]*

---

* نشيد لمحمد فوزى .. لا يذاع إلا فى أيام محر..

فرح التجار لإستدعاء أبناءهم الى رحلة الفتح العظيم.. سوف يلقونهم فى البحر.. يدخلون القدس.. ويعودون بالغنائم الكثيرة، يفرشون بها السوق كما عادوا بالأمس القريب من سوريا الحبيبة..واليمن السعيد .. وغزة المباركة..

[ولايهمــــك ياريـــــس
م الأمريكـــان يـاريـــــس]*

وبعـدها

(أبقى.. فأنت الأمل الباقى)*.. فالأزرق النيلة يلطخ أيامنا، يدهن الواجهات ويغطى عيوننا فى إنفجار المأساة..

- لقد رجعوا..حفاة.. عراة من سيناء المكشوفة.
- هــى الحـرب يارجـــل

ويخرج الناس فى الذهول يضمدون جراح النكسة بالرغم من الإستنزاف الدامى.. يبحثون فى السوق عن الدقيق.. الشاى.. الصابون.. بينما يتصيد التجار بشباكهم الخاصة، طرود الإعانة القادمة من الدول الصديقة والشرقية.. يبيعون من جديد معلبات الإغاثة القادمة للمصريين تلك المرة..

....

- أستشهد الواد (بعليطة) بتاع فرش (الشباشب).
- (فص) آخر داب.. (قال تاجر)

- ..وتاجر جديد سوف يولد.. (قال آخر فى مرارة).

....

الأبواق العالية تصرخ من فوق الأسوار التى تحيط بمبنى الكلية تنقل غضبها إلى أهالى الحى الشعبى القريب (الخضرة) تنبههم إلى صوت أبنائهم بالداخل.. يعتصمون.. يبكون المحاكمات الهزيلة لأسباب النكسة.. يأسرون المحافظ.. يحاورونه .. يحاكمونه.. تستيقظ الإسكندرية من نومها.. تصرخ.. تسمعها القاهرة.. تخرج مظاهرات الطلبة.. تفرش كل الوادى.. والتجار هناك لايفهمون.. فقط يحسبون أرقام الخسارة..

يحدث هذا فى زمن لم يدركه (العكرمى) ولا (مصطفى حامد).. أين هما الآن؟

حمدت الله فى نفسى.. لأننى تخرجت من الكلية منذ زمن بعيد، حتى لايورطونى معهم.

....

....

حفظت (الميثاق) عن ظهر قلب، بعد أن قرأت المنشور السرى- فى وارد (البوستة) على مكتبى - يلزم القيادات وأصحاب المراكز العليا فى المؤسسات الحكومية بعضوية (الاتحاد الاشتراكى)..

هدنى التفكير.. هل أضيع الأرض التى أقف عليها؟

- .. دبرنى ياصديقى .. أكره اللعبة.. أخاف منها..
- ..ومـــاذا عـــن غـــدك؟
- .. لاأعــــرف..
- .. أذن أركب الموجة، وتوكل على الله..

وعدت أسفظ كل المصطلحات الواردة فى قاموسنا الجديد.. و.. و.. و(بيان ٣٠ مارس).. مكره أخوك لابطل ..

....

....

(ماأخذ بالقوة لايسترد بغير القوة) ..و ..و ..و..

وكلمات أخرى كثيرة تخرج من فمه بطريقة آلية.. لاربط بينها ولامعنى فقط يرددها على مسمع منا، وعيونه زائغة حائرة، حتى نبرات صوته، تفضحه.. لايشبه الزعيم فى شئ سوى تكوينه الجسمانى، وبشرته الخمرية، بالرغم من أنهما من نفس الصلب.. (شقيقه) رئيس (الإتحاد الاشتراكى) بالثغر..

لم أعر تشنجهم إهتماما، تزوغ عيناى بالرغم منى.. ترصد.. التحف.. النجف، المفروشات فى القاعة التى تضمنا.. أتفرس الوجوه حولى.. عمال.. فلاحين وغيرهم.. أتذكر خالتى..

- أسمهــا (البورصــــة)..

هنا كان يجلس ملوك المال، أمراء البنوك.. يلعبون بالأسهم والسندات فى أيام مصر القطن، بينما نجلس فى أزمتنا، نتدبر احوالنا.. نفكر فى أمر الشاى، السكر، الصابون، الدقيق..والناس فى الشارع ..

خرجت ذات يوم الى الشرفه الفسيحة فى الصرح الضخم.. فرحت كثيرا عندما أقتربت من الإسم الشامخ فوق رأسى أقرأه بوضوح الآن.. (البورصة).. مازال محفورا يحفظ تاريخ المكان.. لم تسعفنى مفرداتى الصغيرة من قراءتة فى يوم بعيد.. أبتسمت.. آه يازمنى.. بينما اللافته الطويلة تغطى مساحة الشرفة الممتدة.. تحمل ماهيته الآن (الاتحاد الاشتراكى)..

فى هذا الموضع، تفادى الزعيم الرصاصات الطائشة.. ثم عاد يصرخ فيهم.. يسمعهم بقوة.. (القناة لنا)..

حركة الناس لاتنقطع فى الميّدان الواسع تحتى.. و(محمد على) الكبير.. يمتطى فى إقتدار حصانه النحاسى الضخم.. مازال يرصدهم من مكانه.. أمامه (قهوة النيل) التى شهدت تحولى.. وفى البعد .. ينام السوق

قال تاجر:

- ياعم إحنا كل يوم فى سوق

رد آخر فى خبث:

- نعــم كــل يــوم فــى ســوء

....

الزعيم أول المؤيدين لثورة (الفاتح) .. والتجار أول المؤيدين للزعيم.. يريدون سوقا جديدة.

....

....

تم إستدعائى للإجتماع الطارئ لمجلس إدارة الشركة..حلفنا اليمين قبل أن نفض الشمع الأحمر عن المظروف الأصفر السرى.. (تكليف الشركة بإنشاء قواعد للصواريخ على الجبهة والخطوط الخلفية للقوات فى القناة.. ووضع كل إمكانياتها للمجهود الحربى).

- نريد أفضل العناصر الشابة ياباشمهندس
- .. أنـا جاهز يأفنــدم

قال ضابط الاتصال الذى يحضر الاجتماع معنا فى صرامة ثم تابع:

- .. لانريد أن يتفشى أمر هذا الإجتماع.. كلكم مسئولون عن سرية الموضوع ..ونحن نرصدكم.
- هـى مصرنـا يأفنــدم ..

أجاب رئيس مجلس الإدارة فى ود وخشوع، ثم صوب عينيه ناحيتى حتى أخلصه من هذا المأزق.. فأوردت إسمى فنظر لى مندوب الإتصال من تحت نظارته:

- أنت تنتظر هنا.. لتلقى تعليماتنا، وتسهيل مانحتاجه

- أمــــرك يــاأفنـــــدم
- ... إلى بالأسماء الشابة، فالساحة هناك ليست ملجأ للعجزة.
- المهندسون.. أحمد رجب.. جلال هاشم.. فايز ويصا.. إبراهيم القرش.. و.. و..
- هـــذا يكفـــى !!

....

....

....

زلزلتنـــا الفاجعـــة.. قوضت أركاننا .. هزتنـــا..
أبكتنـــا كثيـــرا ....مـات (شعبـــان).

....

....

....

٣ - الأسئلة

لماذا لاتفتى فى أخبار عقدك .. كما فعلت من قبل.. أمازلت خائفاً؟»..

«لاأعتقد .. أننى فى حاجة الى ذلك.. يكفى مارصده ابناء جيلى.. ومارصده الكبار.. إحسان.. بهاء الدين.. هيكل وغيرهم .. ولعل سادسنا يشاركنى الرأى».

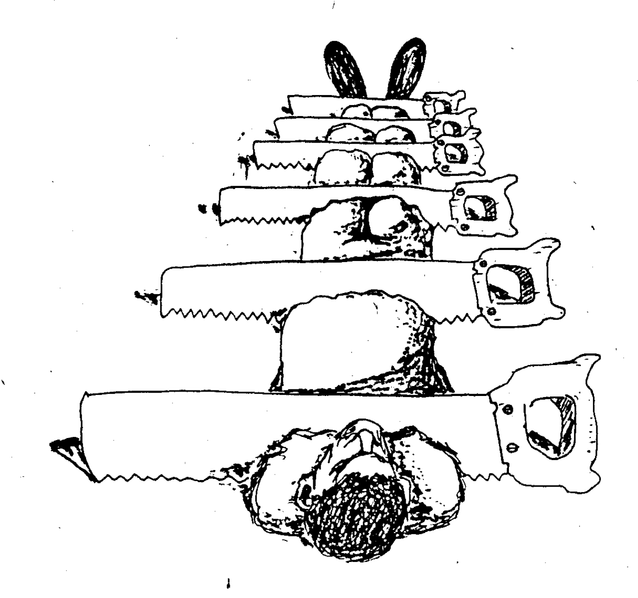
نعم.. لسنا بحاجة الى طرح الاسئلة.. فمؤلفاتهم.. مذكراتهم.. مجلداتهم.. وملفاتهم تملأ أيامنا أنتشاراً

....

- آه ياعقودى .. دوختونى معكم....

....

....



عبـــاس الخامس

١٩٧٠

- نزلت السوق وحدى فى غيابه، أستثمر فراستى.. فاطمة فى البيت، تضم الأولاد الى صدرها.. تبكى (شعبان).. والوداع..

١٩٧٣

- عبرت تكوينى القديم فى غفلة منهم، أحلق فى البعيد أوقظ طموحى النائم، لم تسألنى عن احوالى.. أولادى.. زوجتى.. تجبرنى على الا اتجاوز حدود العلاقة التى تجمعنا، تضمنى لها، أحتويها فى احضانى.. تذوب على شفتيها كل الأسئلة..

١٩٧٥

- إتحرك برشاقة وخفة فوق الحلبة بعد أن حملت توكيلها للعب فى أيام السعد المفتوحة..

١٩٧٦

- أى المنايـــر يـابيـــه؟
- لاأملك سوى إختيارهم.. لماذا تسأل؟
- فقـــط.. ليطمئـــن قلبـــى..

١ - اللقـــاء..

يحتسى (شاى) الخامسة كالعادة منذ ربطه تكوينه الى محل (ديليس) القريب من مبنى (الغرفة التجارية)، ينزوى فى ركنه البعيد، يطالع البحر، ويحسب لأحلامه النائمة داخل المبنى الكبير عن جواره..

دخلنا عليه.. قام لنـا...

- أعـرف أنكـم سـوف..
- لقـــد جئنـــا..
- اهـــلا ياعقـودى..

....

....

٢ - التكـــويــــن..

خرجت الإسكندرية، يبلعها الطوفان الجنائزى، تتخبط فى العويل والصراخ.. (آه ياأبويا .. يأخو وووويا.. ياأبنى ..آه ياعمى).

تتشابك الأيادى المفجوعة، تلضم الصبر فى ليلها الأسود، تضرب فى الشوارع بلا هدى بحثا عنه.. تريد ان توقظه من غفوته.. تحط المدينة موكبها المأتمى تحت شرفة الصرح الضخم.. تنتظره من جديد.. يمسح الأكذوبة التى جمدت الدموع فى المآقى.. أبداً لم يخلف موعدا..

- .. أفتح عينيك لترى اليتم الذى عشش فينا..
- .. ياأغنية الفقراء فى الظلام المسافر .. حطمنا القيثارة..
- سامحنـــا.. قتلنـــاك ياولـــدى ..

......و ......و والـــــــــــــوداع..

(بكيت لتلك الكلمات فى وصف الجنازة، نحيت الجريدة التى امامى جانبا.. تذكرت أبى.. أمى.. شعبان.. كل أمواتى وجدتى ... وحشونى..).

....

نفرح كثيرا لزيارات أهل البيت القديم لنا.. نجلس معهم، نستمع لهم.. تضحك (فاطمة) لنوادرهم هناك.. تعرف كل الأخبار .. أبداً لم ينقطع الود..

(عيشه) ..تسرد ماكان فى حياتها مع (شولح)..
(لوزة).. (تبكى) شعبان، فتبكى (فاطمة) معها..

وتتحسر (سعدية) على حظها مع خطيبها (حسين الأخرس) الذى يأتيها مرة كل شهرين تقريبا فى زيارة ميدانية خاطفة.. يحمل الهم والغم، ونار الجبهة فى صدره..يتأمل الأشياء حوله فى دهشة ولايتكلم..

- .. ينظر لنا كالمساخيط.. تمنيت أن يقول (أحبك ياسعدية) ويسكت بعدها.. لكنه لم يفعل، لذا سميته بالأخرس
- .. أتحبينـــــه؟
- ولماذا انتظره كل تلك السنوات؟ .. لقد تربينا معا.. احمل همه.. أدبر من مصروفى .. أدس فى يده كل ماجمعته له.. فالجنيهان لايكفيان سجائره هناك.. كلما نظرت فى عينيه الميتة؟ يتملكنى أحساس غريب بأننى لن أراه مرة أخرى.. أبكى بعد أن يعود للجبهة.. طالت الأيام أكثر مما قدرنا لها..
- أصيلة يابنت يا(سعدية).. (تقول فاطمة).

....

....

عدت لمزج المصطلحات الجديدة بالمفردات القديمة التى تسكن رأسى من زمن (العكرمى) و(حامد) .. أصنع منها توليفة.. سهلة.. مرنة.. قابلة للتشكيل، أواجه بها واقعى فى كل حين..

- موسوعة أنت ياسعادة البك.. ماشاء الله.
- أفصــح بلامقدمات..مـــاذا وراءك؟
- .. أقصد..أرحمنا وأرحم نفسك.. تموت كل يوم، ونموت معك من الثامنة صباحا حتى الثانية بعد منتصف الليل أحيانا.. تجرجرنا خلفك، نلهث نحمل الملفات والأوراق الكثيرة بين ردهات المجلس المحلى.. النقابة.. الاتحاد الاشتراكى.. حتى الطعام أصبحنا نتناوله خارج بيوتنا.. والنساء يصرخن..

قلت بعد أن ضحكت لكلماته كثيرا:

- تخاف من أمرأتك يا(عرنوس) أفندى؟
- أبداً.. بل أخاف من الجفاف الذى يدب فى رجولتى.. تنبهت لكلماته.. أصابنى فى مقتل.. أنصت له جيداً وهو يشرح لى كيف ان الآخرين يرتعون، يلعبون فوق مقاعدهم الوثيرة.. يبدرون إبتسامتهم فى كل إتجاه.. ويبحثون عن النساء فى كل الدهاليز.. يدغدغون همهم وغمهم عند أعتابهن..
- الحياة قصيرة ياسيدى.. نعيشها مرة واحدة..
- لأول مرة أكتشفك.. أفصح يارجل..

أقتنعت بكلماته، فوضت له الأمر فى أستبدال طقم السكرتارية (الرجالى) فى مكتبه على أن تتم العملية تدريجيا حتى لايفتضح الأمر..

لم يكن الرجل فى حاجة الى نصيحة، فقد جاءنى رجاله.. الواحد تلو الآخر، يطلبون نقلهم الى مواقع التنفيذ والأشراف فالتعامل مع (عرنوس) أفندى أصبح لايطاق..

وافقت على مضض أمام عيونهم.

- سوف أفتقدكم يارجال..
- هى رغبتنا .. ونحن رجالك فى كل موقع..

....

....

....

....

يعرف أننى تجاوزت مرحلة المراهقة ولم احسم أمرى معها.. يرصدنى من زمن، يهتدى إلى كعب (اخيل).. يشد الوتر الحساس فى قوسى، فينطلق السهم... (هدى)..

....

- الأولاد ياعباس
- .. تشغلنى المسائل الجسام.. من أجلكم أحفر فى صخر الأيام.. أنت ست البيت .. هم أمانة فى عنقك..

- فقـط سـاعدنـي.
- انت لها يافاطمة... أنت لها..

....

....

- سامحك الله يا(عرنوس) أفندى.. لاأنام .. أسرتنى البنت.. دبرنى.
- أقسم لك أننى حاولت معها كثيرا.. لكنها تحلم.. وتهذى أحيانا بكلمات لاأفهمها..
- والعمـــل؟
- أنتظر.. ولاتسرف فى اناقتك.. لاتغير نبرات صوتك القديمة، لاتبتسم فى وجوهن..
- داهيـــة انـت..
- فقط انبهك ياسيدى.. فللنساء قرون أستشعار ترصد التحول وحذار من زوجتك..
- تفرش السواد وتنام فى الحزن منذ رحيل أخيها..
- شقـة بعيـدة.. تنام فيها علـى أسـرارك

عدت أخصه بالجانب الأكبر من الحوافز والمكافآت - دون غيره من العاملين - أطلب له علاوة أستثنائية..

أمتدحـة فـى جلسـات مجلـس الإدارة..جنـدى مجهول.. يعمـل فـى صمـت..

....

نزلت إلى رغبتها ونحن نشرب الشاى عند (ديليس) - ناحية البحر- مكانى البعيد، المفضل.

- هذه ورقتى.. أقر فيها بأنك زوجى، وأننى اتنازل عن كل حقوقى المادية والمعنوية ...و ...و
- لمـــــاذا؟
- لاتحرجنى .. أنا فى غيبوبة الآن.. لاأعرف ماذا أريد؟
- .. أذن لماذا الإصرار على الاوراق المتبادلة..
- .. حتى اقنع نفسى بأننى لست عاهرة وأنا فى احضانك
- ومـــــن قـــــال؟
- أرجوك.. أنتهز الفرصة.. لاتدعنى انصرف..
- هذه ورقتى.. أقر فيها بأنك زوجتى.. وإنك تستحقين.. و...
- ... أرجـــوك .. لاتزيـــــد..

....

....

....

- فعلتها قليلة الأصل

تقول (فاطمة) فى ثورة (أمى) القديمة.. أرتجف فى نفسى.. هل بلغها شئ من أمرى؟.. أسحبها الى اقرب مقعد.. أهدئ من روعها..

- .. البنت (سعدية)..تزوجت (ليبيا)، وسافرت معه.. ضحك عليهم بشوية هدوم وفلوس.. آه.. آه لو كان (شعبان) بيننا لذبحها قبل أن تفعل ..ماذا سيقولون للولد عندما يعود؟
- .... كـان اللـه فـى عونـه..

طيبت خاطرها.. حمدت الله أن غضبها لايخصنى.. أنصرفت..

....

كرنفال جديد من فتيات صغيرات.. أمهات... سماسرة ... كتبه... ليبين.. يفرشون كل الأرصفة المحيطة بمبنى (الشهر العقارى).. يحسبون لدورهم فى لعبة أيامنا الجديدة.. (توثيق عقود الزواج).. يرقصون.. ويزغردون..

تقـول **امـرأة** لأخـرى:

- ياأختى .. الليبى بيدفع بالميه والمصرى بيستنى الجمعية..

قـال **رجـل** فى (مقهى النيل) وهو يرقبهم:

- ياخسارة.. باعت الإسكندرية نساءها..

قـال **شيـخ**:

- (أقتربت الساعة وأنشق القمر)..

وقـال **تاجـر**:

- .... نسميها سوق ليبيا بإذن اللـه..

....

- الأولاد ياعبـــــاس..
- يافاطمـة.. أنـت سـت البيـت .. من أجلكم أحفـر...
- لاتكمل باقى الاسطوانة.. أحفظها عن ظهر قلب.. لنا الله..

....

مازلت أرتع فى أيامى الجميلة معها.. ينام سرنا معنا، بعد أن ضللنا الجميع فى هروبنا.. تقدمت بطلبها الى (عرنوس) أفندى.. توسلت اليه ليحظى بموافقتى:

- البنت منتسبة فى الجامعة وعايزة اجازة يومين فى الأسبوع لحضور المحاضرات، وانا شايف إنها فرصة كويسة تبقى صاحب فضل عليها.. ومسيرها تقع..
- سأوافـق مـن أجلـك أنـت.. فأمـرها لايعنينـى الآن..

....

خرجت من الشركة فى ميعادى المعتاد (الثانية الا عشر دقائق).. العربة فى إنتظارى.. يرهقنى (سبت) البداية، تضيع فيه بهجة الأجازة الأسبوعية..

نتحرك فى طريقنا المعتاد، نخترق الشوارع المألوفة، نتوقف فجأة حول العربات المكدسة.. والناس فى بحر الشارع يروحون ويجيئون فى الحركة المذهولة..

- أيه الحكاية؟ أسألهم يا(سعد).. يطل برأسه من النافذة المجاورة له.. تصله الإجابة سريعة قبل أن يحرك شفتيه..
- الحــرب بـــدأت ياأسطـــى..

(قال رجل دون أن يعيرنا إلتفاتا).

- ماذا؟ ماذا يقولون؟ .. أفتح راديو السيارة بسرعة..

(ايها الاخوة المواطنون.. جاءنا البيان التالى من القيادة العامة للقوات المسلحة).

- .. أرجع الشركة تانى يا(سعد)..
- .. حــاضــر يــاأفنـــدم.
- .. ولاأقولك.. روح على الاتحاد الاشتراكى..

........و ...و ...و (بلدى أحببتك يابلدى)...

الأبـواق العالية ترصع أركان الشرفة الكبيرة.. تجتمع الاسكندرية تحتها كالعادة.. تسمع أخبار العبور.. أغنيات النصر.. والفرحة تملأ كل الحشد الوافد الى الصرح الضخم...

- نريد دورنا فى يوم مصر الكبير..
- انتشروا ... افرشوا صيامكم وقيامكم حول مرافقكم فى خريطة الدفاع المدنى و..

[سينا ياسينا .. بسم الله .. بسم الله]..

....

....

وقف شيطانك يعظك،

- سرك فى رأسك ياعباس.. متى خرج منك اصبح عليك.. إن الكبار يقومون بألعابهم ويرقص العالم لهم.. فقط لاتلقى بفوطتك فوق الحلبة..ولاتكن جبانا فتقتل بسهم طائش..
- أنت الشركة، الشركة أنت.. وحدك تأتيهم بالتكليف والأوامر المباشرة.. لم يفعلها غيرك من قبل.. تستثمر علاقتك بالرجال الكبار والقيادات من أجلهم..
- ليتهم يقدرون يا(عرنوس) أفندى
- أنهم ...و ...و ...و ويستأثرون بالجانب الاكبر من الحوافز والمكافآت .. وانت تقصر فى حق أولادك !!

مرة أخرى يشد الوتر فى قوسى.. يصلبنى فوق تكوينى.. يعرف مواطن ضعفى.. فينطلق السهم الى الجدران الهشة.. يثقبها.. فتتدفق عمولتهم فى حساباتى الجارية..

....

....

أخبرنى (عرنوس) أفندى فى الديكتافون الذى أمامى - إن شاباً من طرف (سعدية) يريد مقابلتى .... ادخله فوراً..

- .. أسمى حسين (الأخرس)..
- .. اهلا.. اهلا.. ياأبنى .. متى أنهيت خدمتك؟

- .. منذ شهور بعيدة.. عملت خلالها فى السوق.. نصحتنى (سعدية) بعد أن تزوجتها، بمقابلة سيادتك لتدبر لى عملا فى الشركة..
- .. وهل عادت؟
- .. طلقها زوجها.. أحتفظ بالأولاد.. جردوها من حمولتها عند الحدود.. عادت برأس يملؤها الهوس..
- .. أصيـل انـت ياولـد..
- قطعة منى.. تاهت فى الغيبوبة.. أستردها الآن
- تهزنى كلماتك.. وماذا تعمل؟
- سائق لكل أنواع المركبات..
- أذن.. ابشـر بكـل خيـر..

....

....

- وقعى يافاطمة ..وقعى..
- مـاهـــذا؟
- توكيل عام .. بتفويضى بالتصرف فى كل ممتلكاتك..
- من أين لى؟ .. أتسخر منى؟
- السعد يالمرأة.. لقد نزلت السوق بأسمك بعيدا عن عيون الوظيفة.. أتفهمين؟
- لاأصدق.. كل تلك الأوراق تخصنى؟ .. العقار الكائن بشارع.. اسهم.. سندات.. (جيوفانى.. لعب أولاد).. ولماذا هذا المحل؟

- لقد طرد صاحبه أخاك (شعبان) عندما سأله ذات يوم عن ثمن (سينما الاطفال)..
- ومازلت تدخر حقدك للرجل كل تلك السنين؟
- فعلتها حتى يرتاح أخوك فى مثواه..
- لو كان بيننا مافعل .. كان كبيراً.. الحب سلاحه، يصارع به كل السخافات و الهنات الصغيرة.. لكنك أنت.. تغيرت كثيرا منذ رحيله، حتى عدت أخاف تصرفاتك الرعناء غير المحسوبة..
- .. لاتخافـــى يافاطمة.. وقعـى..

....

....

- والعمل يامعلم؟ .. كل بضاعة السوق من (بورسعيد) الآن..
- لاتنزعج كثيرا يامعلم (قدوره).. فرجال الجمارك عند منافذ المنطقة الحرة كفيلون برد زبائنكم اليكم..

ضحك التجار إلى مايرمى إليه كبيرهم فى الإجتماع الذى ضمهم فى مبنى الغرفة التجارية لمناقشة الأمور والأدوار الجديدة المطلوبة منهم فى مساحة التغيير الإنفتاحية

- .. فليبق الوضع كما هو عليه.. (سوق ليبيا).. أتركوها لأبنائكم وصبيانكم لقد كبرتم يارجال، فاسرعوا إلى أيامكم المفتوحة قبل أن تضيع الفرصة.. غيروا جلودكم ورءوسكم..

- زدنا يامعلم.. (قال المعلم (اسماعيل الفص) متحمسا)
- عندكم.. الأستثمار.. التوكيلات.. الاستيراد.. التصدير إن أمكن.. البوتيكات.. الإسكان الفاخر.. اللعب بالدولارات.. و.. ..و و(العاقل يشترى صالحه).. لاترهقونى..
- .. جزاك الله عنا كل خير.. بصرتنا يامعلم.. (قال تاجر)

....

....

يأتى (عرنوس) أفندى الى مكتبى، يخبرنى بأن شخصا يريد مقابلتى.. لم يفصح عن اسمه.. قال إنه يريدها مفاجأة لصديق قديم، لم يقابله من زمن بعيد.. دارت رأسى بالإحتمالات كلها.. من عساه أن يكون؟ ... أدخله..

- الشيـــخ (مصطفـــى حامـــد) !!

صرخت من المفاجأة .. أفتح ذراعى، اضمه فى أحضانى، أغمره بوابل من القبلات..

- نعم ياعباس .. نعم.
- لاأصدق نفسى يامولانا.

قلت وانا امسح فوق ظهر عباءته، أطالع لحيته الوقورة ووجهه الأبيض البشوش..

- مسير الحى يتلاقى يأخى.. سألت.. وسألت حتى أهتديت إليك..
- أين كنت؟ بحثت عنك كثيرا.. وسميت أبنى بأسمك (حامد).. (أقول والكذب يملؤنى)..
- مـــرة اخـــرى تاسرنـــى..
- أنـــا؟ معـــاذ اللـــه..
- نعم.. تسمى أبنك بأسمى.. وفى المرة الأولى كان خلاصى بأذن الله مـن منـزلك دون أن تدرى..
- أنـا؟ .... لاأفهـم..
- .. أبداً لن يغيب هذا اليوم عن رأسى.. مازلت أراه أقرأ تفاصيله فى كل لحظة..
- تقصد زيارتك لى فى عام ١٩٥٤
- .. نعم.. ربما تكون قد نسيت فى زحمة أيامكم الكابوسية الملونة.
- .. لـم تكـن كلها كما تعتقـد..
- .... «لكم دينكم ولى دين»..
- نعـم .. يامـولانا..نعـم..
- «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها».. فى طريقى الى الشارع بعد لقاءك، وجدت أخاً لى فى أنتظارى على عتبة منزلكم، كان يعرف أننى فى طريقى إليك.. جاء مسرعا.. يحذرنى.. إنهم ينصبون الأكمنة فى كل الأمكنة التى أتردد عليها، يبحثون عنى .. يريدون رأسى، هزتنى الصدمة.. لم أدر أين أنا؟، فقد صحبنى أخى

بعد أن دثرني.. نركب جوف الليل، نمر من أمام عيونهم، نتسلح بما نحفظ في القلوب..

«وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون».نزحف على رءوسنا، بطوننا.. نهرب من الشمس.. ندفن أنفسنا في الظلام.. نتعثر في جنازتنا.. نعبر الصحارى.. المستنقعات.. الوديان.. نخترق الجبال، الصخور.. نجتاز الحدود.. يتلقفنا الأخوة (المهدية).. كانوا في إنتظارنا على الجانب الآخر.. نركن إليهم.. نأكل، نشرب معهم.. نتدارس.. نودعهم، ثم نحمل رحالنا إلى الأرض البعيدة.. يستقبلنا أخوة لنا.. يزرعون الأمل فينا.. نواصل حياتنا معهم، حتى تداولت تلك الأيام بين الناس، عدنا من جديد في ظروف مهيأة لمواصلة الجهاد الأكبر بأموال الله التي جمعناها هناك...

- عـودة ميمـونة بـإذن اللـه..
- جئت مندوبا عن المساهمين في بنك (التضامن الاسلامي) يمكنك أن تزورني خلال اقامتي .. متى شئت..
- سـوف أزورك بأذن الله.
- لن تفعل ياعباس.. فأنا أعرفك..
- صدقنـي مـرة يامولانـا..
- بل صدقني انت.. لاشئ أقوى من رائحة الكذب..

....

....

كنا . نتخاصم من أجلها فى ايامنا الصغيرة.. أنا وصبرى وشعبان وحده ضمها الى صدره، عندما أبتسمت له الأيام.. اخذها لتنام فى حلمه الكبير.. يفرش الأخضر فى اجوائها.. ترقص.. تغنى.. تفرح.. ثم.. تصرخ.. تولول فى الكابوس المفزع الذى يلع (شعبان) .... وجاء (صبرى) من جوف الأيام البعيدة يطلبها.. هى أرضى وعرضى.. امانة فى عنقى..

- مــارأيــك ياعبــاس؟
- (لوزة).. و(هند) فى حاجة الى رجل .. يكمل الرحلة معهما يسهر عليهما.. لايطمع فيهما..
- وهــل يصلــح؟
- لاأعرف أخباره من عقود بعيدة.. منذ أن قطع الخوصة من قدميك الصغيرتين عند (سيدى الصورى)..
- أعرف تلك القصة .. سمعتها كثيراً.. مارأيك فى الرجل..
- يكفى إنه كان يحبها يوما.. وكان يحب (شعبان) أيضا..
- آه.. (اللى فى علمه يتمه).. (تتنهد فاطمة)..

....

....

- البنت عايزة أجازة (سنة) بدون أجر..
- لمــاذا؟ (صــرخت مــن المفاجــأة)

- .. وأحنا مالنا يابيه.. أنا شايف إنها فرصة نرتاح منها، وندور على غيرها.. يعنى إيه اللى أخذناه منها لاشئ.. وافق يابيه.. وافق..
- أطلبها لى.. أريد أن اناقشها.. (قلت فى عصبية)
- أستأذنت، وأنصرفت.. (قال فى برود)

هرولت مسرعا إلى الشقة البعيدة.. يسبقنى الإحتمال المفزع، أن تكون حاملا.. لذا أرادت أن تختبئ بعيداً عن عيون ذويها، ومعارفها قبل أن تنتفخ البطن.. أتعثر فى هواجسى..أخاف فضيحة (شولح) مرة أخرى لن ترحمنى (فاطمة) .. و(شعبان) الصغير.. (حسن مرسى) أنقذتنى يوماً من فتاة (كامب شيزار).. أخذت ساعتى.. تعالى.. خذ كل ماتريد، فقط اخرجنى من ورطتى أين أنت؟

- .. (الله يخرب بيتك ياعرنوس افندى)..

....

وجدتها... وقد حزمت حاجاتها تنتظرنى بإبتسامة هادئة

- مـاذا وراءك ياهـدى ؟
- خذ ورقتك .. أعطنى ورقتى..
- هـل أخطأت؟ .... وهل .. وهل؟
- قلت .. خلصنى.. لاتدعنى أصرخ..
- سوف أفعل .. اهدئى..

جلسنا نحرق الاوراق التى تحزمنا.. نضحك لتلك التجربة المجنونة.. أجذلت لها العطاء لمواجهة أيامها؟ بعد أن أكدت لى بأنها لاتحمل شيئاً فى احشائها..فرحت.. أستدعيت بواب العمارة.. أجذلت له.. سلمته عقد الشقة.. ثم قمت إليها أودعها..

....

....

- .. أخــاف عينيـة يا(فاطمــــة)
- أصرف عنك هواجسك .. هو أبنك ...
- يذكرنى دوما (بشعبان) الكبير.. (الله يرحمه)..
- الولد لخاله ياعباس.. لاتخف..

....

ركبت زورقهم يا(عرنوس) أفندى.. حـزب (المحروسة)..

....

عدت تطوف - كل يوم - حول رءوس تكوينك الجديد.. (الشركة - ديليس - السوق).. تراقب الفرصة التى انتهزتها فى غفوة منهم... تترعرع .. تتضخم.. تتفجر اضلاع مثلثك تحت طموحك الممتد داخله.. تتكون رءوس جديدة.. تصلها اضلاع متباينة الأطوال، ويجمعهم شكل عنكبوتى التكوين..

- **نقابة المهندسين**.. لتكون الصوت الطيب لأبناء مهنتك..
- **المجلس المحلى**.. لتجهيز المائدة والوليمـــة..
- **الغرفة التجارية**.. وكيلا عن زوجتك فى مشروعاتك المبعثرة.
- **الاتحاد الإشتراكى**.. داعيا لقرارتهم ومرتلا..

وعندما هدك الطواف حول تكوينك الشبكى، رحت تزرع تحت كل رأس (عرنوسا) .. يحسب.. يجمع..يدبر.. و.. ويمسح لك..

- هذا هو ديوان عشقك الجديد يا(عباس)..

(يغمـز لـك شيطانـــك)..

....

....

....

(ألتقى أبناء الإسكندرية تحت شرفة (الزعيم) فى الميدان الواسع - كالعادة - يجمعون عضبهم.. يصرخون (الصرخة القوية) التى تعلموها من قبل.. تسمعها القاهرة، وتغطى كل الوادى يتحركون فى كل إتجاه.. يقذفون أولئك الذين يتدثرون بأوراق (العم سام) الخضراء.. يحطمون مفرداتهم الإستفزازية فى كل الأمكنة.. يهرسون تحت أقدامهم كل الأخبار التى طالعتهم برفع الدعم الذى يصلب أيامهم العجاف ....و.... و..... و.....).

لم أستطع قراءة باقى المقالة التى تحمل عنوان (الإنتفاضة).. والتى قدمها لى واحد من الشباب (العنتريين) فى الحزب والذين يثقوا فى كلماتى التى كنت أرددها على مسامعهم.. لايعرفون اننى استعيرها من أزمنتى السحيقة وقراءتى الخاطفة من أجل الكرسى..

- نريد نشرها فى جريدة الحزب .. (قال كاتب المقالة وهو يتفرسنى)
- أنت نائب رئيس التحرير.. ونثق فى جرأتك وكلماتك النارية.. (قال رفيقه فى لهجة ودية).
- سوف أفعل .. أنا معكم ياشباب..

لايعرفون أننى لاأقرأ الجريدة منذ صدورها..ولاأعرف الكلمات النارية التى تكتب باسمى.. قلبت المقالة مرة أخرى بعد إنصرافهم.. أشرت عليها.. تحفظ..

....

....

آلو.. يابك.. اتكلم من الحزب.. لقد حطموا الشبابيك وحرقوا الأبواب فى غضبهم

- أهدأ ياولدى.. تحلى بالشجاعة والحكمة لمواجهة الموقف حتى أصل إليك..
- ولقد .. حطموا عربتك أيضاً..

- .. أولاد (الكلب) ... (صرخت غاضبا)
- مـاذا تقـول يابـك؟
- .... (الحـراميـة)....

....

- البنت (هدى) تهديك السلام..
- هـل عـادت للشركـة؟
- ارسلت خطابا من الخليج لزميلة لها بالسكرتارية.. تحملها سلامنا.. تزوجت عربى هناك..
- مجنونة تلك المرأة..
- مـاذا نقـول؟
- لاشئ يا(عرنوس) أفندى.. فقط أهذى .

....

....

- عينيه يا(فاطمة)..
- دع عنك هواجسك..
- الولد يزعجنى.. يتهمنى فى نظراته.. سألقنه درساً..
- لاتفعل ياعباس.. لاتفعل..

....

....

حضرت (قعدة العرب) التى عقدت فى مبنى الغرفة التجارية تضم كل تجار السوق- فى محاولة للم الشمل، ودرء الشرخ الذى تغلغل فى نفوسهم بعد أن قام كبيرهم بمغامرته الشاطحة.. (وحده).. لإكتشاف منابع جديدة...

- ذهبت بإيعاز منهم لتمثلنا؟ (قال العضو الشاب ثائرا
- ابدأ.. ساءنى حال السوق.. فحاولت البحث عن مخرج ..
- .. من هناك؟ حيفا .. يافا؟ اتق الله فى ناسك يارجل !! (قال آخر غاضبا)
- لماذا لم تشاورنا قبل الرحلة؟
- لماذا أفعل؟ .. وأنا أعتقد..
- ولماذا تطلب منا أن نعتقد فى شطحاتك.. ونوافقك (قال عضو كبير فى الغرفة)
- يمكنك أن تضيف لإعتقادك إننا نصدقك ..و..و..
- ..لا..لا.. لقد أهنت .. وأنا كبيركم (يصرخ شيخ التجار)
- الحق معهم.. فهم أصحاب السوق ياشيخنا ويمكنك أن تسمعهم..
- أبدأ .. أعمل من اجلكم .. ولاتقدرون..
- ياجماعة .. ياجماعة.. (صرخ تاجر وسط الضجيج الذى يملؤ القاعة) صبركم بالله.. اهدءوا .. الموضوع يحتاج مساحة من الوقت ونحن غير مهيئين الآن للمناقشة وأرى تأجيل الإجتماع..
- مـــوافقـــــون...

قال الجميع، ثم قاموا ينصرفون، بينما قام كبيرهم محاولا أن يستدر عطفهم فى صوت وقور أجش (يفأفأ):

- .. "ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"
- .. "ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به.."

قال تاجر وهو يحدق فى عين كبيرهم قبل أن ينصرف...

....

بعد أن انتهيت من مراجعة حسابى الخاص (بالمصرف المصرى- الامريكى) خرجت للشارع المجاور- منطقة البنوك ناحية شارع طلعت حرب - قاصدا (بنك التضامن الاسلامى)- أردتها مفاجأة له.. أهزمه بصدقى تلك المرة.. سألت مدير البنك:

- .. الشيــخ (مصطفــى حامــد)؟
- .. سافر من زمان.. (ذبحنى الرجل فى رده)
- ومتــى يعــود؟
- .. اشك فى عودته مرة اخرى.. لم ترق له البنوك والأكاذيب فى ايامنا.. هذا ماقرأته فى عينيه وانا اودعه..
- لــم يمكــث كثيــراً..
- خيرا فعل ياسيدى..

....

....

- كنت فى طريقى للمحامى لإستكمال القضية.. طلقنى زوجى بعد زيارة (القدس).. ماذنبى؟.. أخذ يسبنى فى عضبه وغضبهم بكل النعوت البذيئة... اخرجى.. يا(شر..).. ياخائنة.. يابنت الخونة.. وعدت مهزومة.. أجرجر خيبتى...و ..و ...و (هكذا أخبرتنى (هدى) التى قابلتها فى لقاء عابر بميدان المنشية، كنت فى طريقى لموعد هام.. وهى فى عجلة من امرها)..

....

....

قال عجوز فى (مقهى النيل)، وهو يرقبهم، يزيلون الصرح الضخم، يخلعون احجاره الصلدة، الواحدة تلو الأخرى:

- قتلنا من قتلنا .. سامحه الله.
- من تقصد يا (عجوز)؟
- أبرهة وأفياله..
- العجوز يهذى!! (قال رجل وهو يخبط كفيه)..
- .. بل يدرك مالانفهمه.. (قال آخر).
- ماذا تقصد؟
- .. إنهم يدكون الصرح الذى شهد بزوغ الحلم..
- .. ربما لايريدون لنا ان نجتمع تحته مرة اخرى.
- .. وأين نجتمع أذن؟

- .. فى أى مكان ياجدع.. (قال رجل ساخراً)
- سامحهم.. يارب.. أنهم (يضحكون ولايبكون).. حسبنا الله فى أيامكم.. حسبنا الله.. (صرخ العجوز فى وجوههم، وهو يهم بالإنصراف).

....

....

- البنت (هند) جاءها عريس، كان زميلها فى الجامعة
- مبـــــــروك
- كم حلمت باليوم الذى استر فيه لحم اخى..
- على خيرة الله يأم (شعبان).. (هكذا تحب أن نناديها الآن)..

....

....

رحل (عرنوس) افندى.. اخذ سرى معه.. لست فى حاجة اليه الآن، بعد أن زرعت فى ايامى (عرانيس) أخرى كثيرة.. رحمه الله..

....

- .. انـا حامـــل.. ياعبـــاس..
- وهل يعرف (شعبان) ولدك يافاطمة؟

....

....



عبـــاس السابـع

المواجهـة..

أنطلقت وهم فى أثرى.. أسحبهم الى المجهول المبهم.. يدثرنا ظلام الليل الذى داهمنا فى غفلة منا بعد أن تجاوزت محاوراتنا كل اللقاءات والتكوين والأسئلة..

لم يجروء أى منهم أن يسألنى أسباب الطفرة التى احلق فى اجوائها.. أغبياء.. وهل افضح نفسى؟ ..لا.. بل خبثاء.. يعرفون، ويكتمون.. وربما يتغامزون من خلف ظهرى.. المهم فى كل الأحوال لن أفصح لهم، ماكان فى تكوينى..

(والآن.. أفتونى.. ماذا من امر المشروع؟).. جمعتكم من أجله.. والأولاد ينتظرون..

«الأمر إليك .. فأنت مرحلة النضج الكامل فى رحلتنا».. لكن هناك شيئاً نسيناه... وماذا وراءك ياعقدنا الحكيم؟».... بعد ساعات، سيأتى يوم آخر... «لم ننس ذلك فى لعبة الأيام» .. «ماذا فى رأسك؟»..

بعد ساعات، سيقودنا عقد جديد..«حقا.. كدنا ننسى هذا» «تعنى؟.. السابع»... «هو بكل تأكيد.. فـ(عباس) لايخلف عقدا».... «وهل من جديد فى وجوده بيننا وقد فوضناك أمرنا؟»..

عباس السابع.. هو الذى سيدير العجلة فى العقد القادم.. بينما أنزوى انا الى جواركم، ومن المنصف أن تكون الكلمة الأولى والأخيرة له فى هذا المشروع الكبير..

«اصبت .. ونتفق معك».. «لكننا لانعرف مكانه.. زمانه.. أو ملامحه» ... «ربما جاء مشابها أى منا !!»... «لاينبغى أن تحمل رحلتنا مطبات اخرى» .. «هدتنا التجربة».. وماذا تريدونه؟ ... «نريده مغايرا»... أذن دعونا نبحث عنه..

....

....

(عبـــا !!!!! آ..س ...يـــا .. عبـــا !!!!! آ....س)

الصرخات، النداءات .. تخرج من عقودى .. تشق صدرى..تشطر أرجاء السكون النائم فى حضن الأفق الممتد.. تقلب الأركان.. تفتش الأماكن.. ترج الشواهد المبدورة عند السفح.. والأنفاس المجهولة القائمة، تطوف حولنا.. تحط فوق رأسى.. «لماذا أتيت بنا إلى هذا المكان الموحش؟»...

حملتنى قدماى تحت نداء خفى لأدرك ماهيته.. فسحبتكم معى..

«هل جئت المكان من قبل؟».. هى المرة الأولى.. يحدثنى قلبى بأننا سنلتقاه هنا..

«نتمنى ان يصدق حدسك».. إذن ساعدونى.. أنتشروا فى المكان، أبحثوا عنه خلف سحابات المجهول.. نادوه من جديد لعله يسمعنا...

(عبـــا !!!! آ..س ... يـــا ... عبـــا !!!!! آ....س)

(عبـــا !!!! آ..س ... يـــا ... عبـــا !!!!! آ....س)

«إنى ألمح طيفا» .... «أنا أيضا ألمحه.. يتحرك خلف الشاهد البعيد عند السفح».. «ينفض الغبار عن نفسه».. «يتقدم ناحيتنا !!» ... «يعبر كل الحواجز».. «يخترق السحابات الضبابية الكثيفة»... «وتحجب ملامحة عنا» «أنظروا.. إنه يقف على الجانب الآخر.. ينادى.. ناحيتنا»..

(عبـــا !!!! آ..س ... يـــا ... عبـــا !!!!! آ....س)

«إنه ينادى علينا» .. «إننا فى حضرته الآن»... «إنصتوا.. إنه ينادى مرة أخرى»..

- (أريد سادسكم.. فليتقدم دونكم)..

تلتقى نظرات عقودى المذعورة فى محاولة لتفسير النداء المبهم - (لماذا خصنى باللقاء؟) - وتعود لتشيع خطواتى، أنا فى طريقى إليه.. تبلعنى الأغوار الضبابية.. ....

....

نتقابل تحت سحابات الغيب المعتمة..نتعانق، نتفحص بعض مليا.. نفس الملمح.. القسمات.. النبرات.. الأنفاس..

- أراك أقرب العقود شبها، وتطابقا منى..
- .. أنسيت أننى سأدخلك بعد ساعات معدودة..وهى مساحة غير كافية لإحداث تغيرات وتبديلات كثيرة فى الملامح والحلم
- هذا يعنى إنك تعرف مافى رأسى تماما؟
- .. نعم.. ولكنى لاأوافقك على الكثير منه..
- .. لماذا تبتسم ساخراً؟
- ... تبدو ملامح الضيق والغضب على وجهك.. لم تكبر بعد ياعباس.. مازلت طفلا.. تحاول أن تتشبث بكل ماتملكه.. لم تقف كثيرا فى رحلتك عند بوابات الحكمة التى فرشت أيامك.. دائماً كنت تصنع الحيلة لتتخطى مساحات النور، لم تقف لتتأمل ماحولك، أو تلتقط انفاسك بعض الوقت.. هدك الترحال.. وأكلتك التجربة حتى تشتت عقودك تحت الزوايا الحادة فى صفحاتك الصفراء..
- .. مازال كتابى مفتوحا !!
- .. قليلة هى الصفحات الباقية..
- .. لم أبحث عنك لتزلزلنى.. وتصيبنى بالإحباط..
- عنيد دائماً.. لاتسلم بالحقيقة..

- .. الحقيقة التى أعرفها، أننى سوف أسلمك زمام الأمور بعد ساعات معدودة.. عندها.. ستصبح المشكلة ملكا لك، يمكنك أن تركبها، تروضها كما شئت..
- .. لاأزعم أننى سألقاك فارسا مغواراً، فلم تكن كذلك فى عقودك المتقلبة..
- .. عرفت ماكان من الأولاد صباح اليوم؟
-.. كنت أرقبك من خلف حجابى المستور.. أرصد الخطوات التى توزعها فى ساعات عقدك الأخيرة الأولاد محقون فيما يرمون إليه، المشروع والمستقبل ملك لهم..
-.. لكننى .. كافحت.. ثابرت..و ..و ..و
- أسكت ياعباس.. فقد كرهت هرطقتك المجنونة ..
- لماذا تحاول محاصرتى؟ الا يكفيك مافعلته العقود بى..
- .. العقود محقة، شاهدة هى على تكوينك، حيرتها معك... ولأننى مازلت فى المجاهل، ترانى حريصا على إحياء ماء وجهك..
- .. هدنى التعب.. طحنتنى الأيام..
- بل هدك الجشع.. لكنى سأحاول جاهدا على إزالة بعض الوقائع الصدئة فى صفحاتك حتى يبدو كتابك أبيضاً ناصعاً لمن يقرأه
- مـــــاذا تعنـــــى؟
-.. الاولاد محقون.. والمشروع لهم..

- لن أجادلك كثيرا، سأنزل الى رغبتك.. فأنت العقد القادم، صاحب القرار.. فقط.. أريدك معنا فى حفلة الميلاد.. نعلن لهم، ماوقفنا عليه من أمر المشروع..
- .. آسف ..ياعباس.. لاأستطيع..
- .. مـاذا؟ .. مـاذا تقـــول؟
- أرى فى الجو غيم.. وسحب الملبدة تغطى ملامح الصورة ..
- افصـــــح؟
- .. خذ عقودك وانصرف.. لاتحرجنى ياعباس..
- أكاد لاأفهمك.. لماذا لاتأتى؟
- حتى لاأفضحك عندهم.. وحدى أعرف أمر عقدك الردئ..
- .. تقصد .. نقط التحول الحادة فى الطريق.
- .. بل البقع السوداء المنتشرة فوق السطح..
- .. كنت أعترف من الفرص المبدورة، ينتهزها الأذكياء والنابهون فى الأيام المفتوحة، قبل أن ينام الزمن..
- .. قل اللصوص والمجرمون..
- حسبتك ستهلل طربا بما جمعته لك..
- وصمتنى بأفعالك .. ظلمتنى .. سامحك الله
- كفانـــى تقـريظـــا!!
- حاولت أن تقهر الزمن ونسيت فى تكالبك على النجاح أن مامن معركة ربحها احد..

- لاتذبحنى بكلماتك الحادة.. يمكنك ان تفعل مايحلو لك عندما تأتى.. سأنصرف الآن.. أعود لهم.. قبل أن تصلبنى فوق خطيئتى.
- أنصرف .. اذهب إليهم ياعباس.. أذهب!!

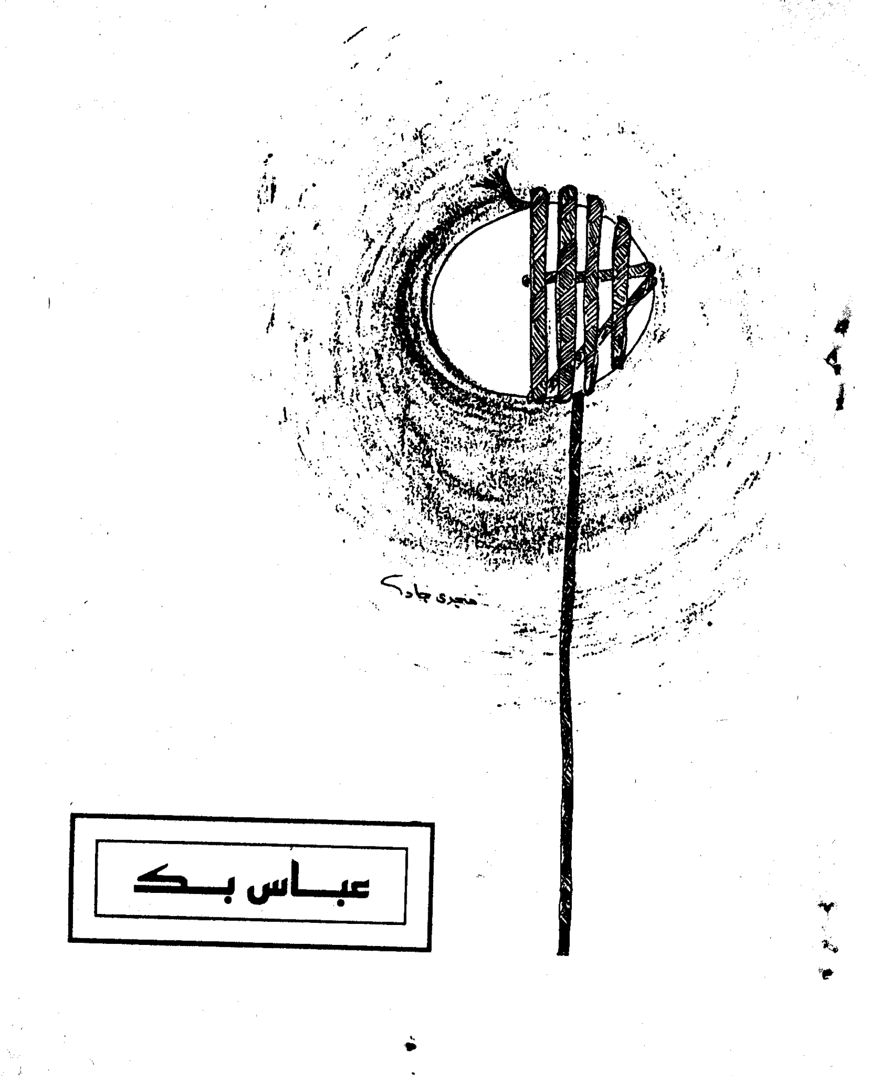
....

....

وعدت مهموماً.. تتلقفنى عقودى، آسفه، حزينة، بعد أن اطلعتها على فحوى اللقاء.. تربت على كتفى، وقد اتصلت منابت الأدراك فيها.. تطيب خاطرى..

....

....



عباس بک

وبعـــد ..

عدت الى البيت، الأولاد ينتظرون، وعقودى فى اثرى.. قبل أن اضع أصبعى فوق زر الجرس.. أنفتح الباب..خرجوا لأستقبالى دخلت عليهم مملوأ، كثيراً.. تسمروا فى أماكنهم..توقفت الكلمات فى عيونهم.. وعيوننا.. يلفنا الفراغ الميت...

خرجت من صمتى.. أشرت الى أشلائى حولى.. قلت:

- هـؤلاء أنـــا..

....

....

وحبس كل منا أنفاسه، وقفنا نبتسم.. العقود للأولاد وتعانقنا بضراوة..

بينما أنزوى عقدى الصغير فى ركن بعيد من الصالة، يتطلع الى مايدور حوله بعيون ركبتها الدهشة.. فهرعت اليه.. أربت على كتفه.. انتشله من ذهوله..

- .. لاتخجل.. أنه بيتك.. وهم أولادك..
- .. هـــذا القصـــر؟
- نعم ياعباس.. إنه ثمرة كفاحك وطموحك..
- .. أنـا؟ مجتهـد.. طمـوح..

- وماذا كنت تظن بنفسك غير هذا؟
- ولد خايب.. هكذا كان يرانى الآخرون..
- لقد اخطأوا تقديرك.. هم الخائبون..
- وهذه الفتاة، الجميلة.. تقول أبنتى؟
- نعم.. وهــى اكثرهم حبـاً لـك..
- لكنهــا تكبـرنـــى؟
-.. لقد عدت لهرطقتك مرة أخرى.. يبدو أنك لم تفهم جتى الآن..
- .. آسف .. ولن أزيد.. فقط .. من هذه المرأة فى المنتصف؟
- هــى زوجتى .. أقصد .. زوجتـك..
- .. إنها تكبر أمى.. ولكنى أحب (لوزة)..
- تعال ياعباس .. تعال ياصغيرى، ندخل فى دائرتهم ولاترهقنى معك..

....

....

ترأست ناصية المائدة الطويلة، الممتدة.. تخترق الجدران.. يسبح طرفها الآخر فى اللانهاية.. لاأبصره.. تجلس (فاطمة) بجوارى على حافة الجانب الأيسر، بعد أن ضاعت ناصيتها المعتادة فى دائرة التلاشى.. بجوارها.. شخوص من دمها ولحمى، وعلى الجانب المقابل..تسمرت عقودى..

....

ست شمعات ذات أطوال متباينة صغيرة.. فأطول.. متوسطة.. فأكبر، موزعة فوق القرص المرصع بزهور الحلوى تدور رأسي، والقرص يدور فى مكانه، يلف الشمعات فى اتجاه عقارب الساعة.. فيتحد اللهب الخارج منها فى سرعة الدوران، يصنع دائرة نارية، تحاصر شمعة التورتة الكبيرة، الدموع كثيرة فى رحلة الذوبان.. لكن سرعان ماتنجذب الشمعات الخمس الى شمعة الوسط.. يذبن فيها.. يصلبن كيانها من جديد.. فنبكى على مهل لكنهم لايحسون .. لايرون.. يخاطب بعضهم بعضا، انغاما واهازيج.. تخطت حاجتى اليهم..

- وحــدى .. أرقــب اللهــب المتألــق الباقــى..

هذا هو الوقت الذى اجتمع فيه شملنا للبت فى المشروع ولكن ماذا نحن فاعلون؟ وكيف؟

هربت من عيونهم.. لكنه فى خاطرى ودمى.. لم يفارقنى طيفه منذ المواجهة.. وتظاهرت بأننى أفكر فى المشروع، كذب وبهتان.. لكنه هو من يشغل رأسي.. اصداء كلماته الغاضبة..تطن فى أرصادى.. تطرقنى من جديد

- بقعتك رطوبة ايامك.. فدب فى كيانك العفن..

- سـامحنــــــى..

- انطـوائيـا كنــت .. تنــام علــى اســرارك..

- احتـاجـــك معـــى..

- لم يبق لى الا القليل

الأنوار ترتعش فى الجو الشاحب.. الفراشات تحترق.. أرسل بصرى فى أرجاء ماحولى.. الاشياء تتداخل.. الحلم فى الأخضر.. المشروع فى الأصفر.. العصير فى الدم.. الأحمر فى الأزرق.. العقارب فى الجاتوه.. اللهب فى الساعة.. الزهور فى الكابوس.. يتحدثون فى آن واحد.. اصواتهم فى الأسود.. لايصلنى منها سوى البنى فى حركة الشفاه..

....

....

أخذنى الأنين تحت دقات الساعة.. أركانى تتداعى .. تك.. تك.. دقائق قبل الثانية عشرة.. وبعدها تتعانق العقارب، معلنة إنتهاء عقد وبداية آخر... ليتنى تعلمت كيف أوقف العقارب؟

قرص الساعة الدائرى، ينطلق من إطاره الذهبى المعلق فوق باب المدخل الرئيسى.. يدور فى مدارات مختلفة حول رءوس المائدة المرصوصة.. لاتشده الجاذبية الى أسفل.. كما شدتنى الى مكانى أرقبه فى هلع..

يدور حولى.. تتقعقع تجاويف الرأس الى الدقات الرتيبة المقبضة.. مطارق فوق الجسد والبنيان.. تزلزلنى.. تهدنى..

وأمتلأت سماء رأسى بكل ساعات زمنى.. تدور فى فلكى، تركب خطوط مدارى .. تتشنج العقارب فى ساعة (بنايوتى) الصغيرة تدق غضبها على وجهى.. ونزيف الدم يتدفق فى أنين بعيد.. لاينقطع، يدين فعلتى الحمقاء فى زمن فتاة (كامب شيزار).. «خذ ساعتى.. خذ فضيحتى.. أسترنى يامرسى»

«فى ستين داهية الساعة.. خذ قرطى مرة أخرى» ..

أمى أين أنت؟ .. أريدك الآن.. أبكى على صدرك، كما كنت طفلا.....

....

....

....

....

– ماذا كان أول شئ وقع عليه بصرك صباح اليوم؟

– وجهى فى المرأة!!

– يا ....

....

....

....

....

ست ساعات تدور، ست أوقات مختلفة، لكل منها عقاربها.. الواحدة تناقض الأخرى.. تتكتك فى قلبى.. لاأدرى من أين حفظت إن الساعات تنحر الزمن.. الزمن ميت لامحالة، ولن تعود الحياه الى الزمن الا عندما تقف الساعة..

....

تمنيت أن يهرع أى من ابنائى أو عقودى.. يهشم الساعة فى مكانها الذى يدبحنى.. يحطم زجاجها.. ينتزع عقاربها.. يقتل تلك التكتكة التى ترن فى أعماقى.. لكنهم لم يفعلوا، ولن يفعلوا.. المشروع يشغلهم..

أنى أشم مايريدوا أن يقولوه.. الأجراس كلها تدق فى راسى.. فلا حاجة بى إلى الإصغاء أو الكلام معهم..

....

....

....

....

تتثبت عينى على الباب.. أرقبه.. لعله يدخل، لكن عيونهم المصوبة نحوى فى تحفز تريد أن تسلبنى اللحظة التى أنتظر... هيهات لهم..

انهم يخططون، يدبرون، يتآمرون . فلذات كبدى تأكلنى على المائدة، وأشلائى تبتسم فى بلاهة للإطراء الواسع الذى فرشه الصغار حولهم.. لايعرفون مكرهم..

كدت أقطع ثرثرتهم المخبولة.. أصرخ فيهم.. لكن.. عقرب الثوانى يدور بسرعة حول دائرته، يرسم خطا، يسرع فى الطول، يبلع بقايا الضوء الهارب فى رحلة الذوبان، فتخبوا الأطياف فى موسيقى زمنى البعيدة، تفرش حصيرة الصمت فى هدأة سكونية لاتعرف الزمن.. ومن مكمنى .. أرقب الباب.. أنتظر..

....

....

....

....

عباس السابع

الاسماعيلية ٣١/٣/١٩٩٢

محمد عبد الله عيسى

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٩٤/٩٦٩٤
I.S.B.N
977-00-7732-1